الجديد

✻ شهرية ثقافية ـ تأسست في حيفا عام ١٩٥١ ✻

العدد ٣ : آذار

الثمن : ٦ ل. إ. מחיר 6 ל״י PRICE 6 I.L

١٩٧٧

AL-JADEED אל-ג'דיד

● رأي الجديد ●

يوم كان له ما قبله وسيكون له ما بعده !

اصبح الثلاثون من آذار ١٩٧٦ في ذمة التاريخ على اعتبار ان كل الاحداث تدخل ابواب التاريخ بهذا الشكل او ذاك ..

ولكنه لم يتحجر بين الطبقات الاثرية التي يكتشفها علماء الآثار بعد اجيال ، بل تحول الى حدث ديناميكي يتفاعل مع التطورات ويفرض طابعه عليها ويولد تداعيها .

وهذا طبيعي فالجماهير العربية التي صنعته وبذلت الغالي والنفيس ليكون منطلقا جديدا في كفاحها من اجل الحفاظ على الارض والوطن ، لم تترك ساحة المعركة او تنزو في قراها تلعق جراحها ، بل واصلتها بقامات شامخة وكانت امينة للتربة التي انبتتها ومخلصة للمناخ الذي منحها الحياة ..

واكدت الجماهير العربية كل هذا في قرارها ، الذي بلورته لجنة الدفاع عن الاراضي العربية في استذكار الثلاثين من آذار ، يوم الارض ، في ٣٠ آذار ١٩٧٧ .

* * * *

في عشية الثلاثين من آذار ١٩٧٦ قررت المحافل الاسرائيلية الحاكمة، وهي سلطات الاضطهاد القومي والتفرقة العنصرية ، ان تجعل يوم كفاح الجماهير العربية العادل من اجل حقوقها ، مأتما ونهاية ، ولذلك جردت حملتها الدموية على ابناء الاقلية العربية القومية ، في قراهم التي تعاني اشد المصائب ، فسفكت دماء الكثيرين وسقط الشهداء .

ولكنها – وفي ذلك لم تختلف عن الرجعية في كل مكان – تجاهلت ان العنف يولد العنفوان .. وانها تتعامل مع شعب قاسى الأمرين ، وتعلم ان التراجع يعني التلاشي والضياع .. ولهذا اخفقت حملتها الصليبية الشرسة .

* * * *

لم يكن الثلاثون من آذار ١٩٧٦ فقعا تفجره ارض الغابات بعد ليلة من الرعود والمطر .. بل كان معلما هاما على طريق كفاح الجماهير العربية منذ قيام إسرائيل بعد حرب فلسطين في عام ١٩٤٨ . كان امتدادا لنضال الآباء الذين تمسكوا بالارض ، وعادوا الى قراهم بعد ان طردتهم منها القوات الاسرائيلية في الجليل .. والقوا باجسامهم امام السيارات والدبابات التي كانت تحاول قذف «المتسللين» وراء خطوط الهدنة لينضموا الى اللاجئين المشردين عن وطنهم .. كان الثلاثون من آذار ١٩٧٦ امتدادا لنضال الآباء الذين بقوا والابناء الذين نموا في جو الاضطهاد ضد العدمية القومية والانهيار الوجودي .. وقد سطر المناضلون من الاجيال الصاعدة صفحات نيرة في النضال من اجل الكرامتين : الانسانية والقومية .

* * * *

وعلى هذا الضوء لن يكون ٣٠ آذار ١٩٧٧ نسخا روتينيا ورتيبا

لـ ٣٠ آذار العظيم لعام ١٩٧٦ .. بل تطويراً للمعركة من اجل الحقوق القومية ، لمعركة القضاء على الاضطهاد القومي ومن اجل المساواة .

ولا يعني التطوير تصعيـــداً في الشعارات المتطرفة او تشديداً في المضاربات «الثورية» التي لا رصيد لها ، بل يعني زيادة في رص صفوف القوى التي تقاوم الاضطهاد القومي ومصادرة الاراضي العربية ، بحيث يصبح من الصعب ، بل المستحيل تسرب العناصر المتعاونة مع سلطات القمع القومي ، الى الجماهير العربية والى حلفائها بين القوى الديمقراطية اليهودية في البلاد ، بقصد إجهاض كفاحهـا .

* * * *

ولا بد لنا من ان نقرر ان من ملامح عدالة كفاح الجماهير العربية ، انتساب قوى ديمقراطية يهودية الى معركة الدفاع عن حق الاقلية القومية العربية في الاحتفاظ باراضيها واطار وطنها وكيانها القومي .

ومن هنا بذلت لجنة الدفاع عن الاراضي العربية كل جهد لتحافظ على وحدة النضال بين الجماهير العربية والقوى الديمقراطية اليهودية ولم تفرط بهذه الوحـــدة واخذت ضرورة تعميقها في الحساب حين اعدت استراتيجيتها .

* * * *

ستحيي الجماهير العربية يوم الثلاثين من آذار ١٩٧٧ ، يوم الذكرى الاولى ليوم الارض، وسيكون حدثاً له دلالته ، كرمز للتصميم على مواصلة المعركة بوحدة صف ، مسجلين صفحة اخرى في تـاريخ الكفاح البطولي الذي تشنه الجماهير العربية من اجل كيانها القومي وارضها وكرامتهـا وسيكون يوماً له ما بعـده .

« الجـديد »

د. اميل توما

قيادة الحركة القومية العربية اليوم

في العددين الماضيين من «الجديد» عالجنا « مسيرة الحركة القومية العربية في العقد الاخير » .. وتوازن القوى الاجتماعية والثورة القومية الديمقراطية في العالم العربي .. وفي هذا المقال ـ وهو الاخير في هذا الموضوع ـ نبحث قيادة الحركة القومية العربية اليوم ..

ذكرنا ان ستالين ابتعد عن اللينينية حين اعلن ان البرجوازية القومية تخلت عن علم النضال التحرري .. لان مثل هذا الحكم التاريخي على هذه الطبقة ، في الاقطار المناضلة من اجل تحررها واستقلالها ، يتناقض مع الواقع وهذا ما اثبتته مسيرة الحركة القومية العربية في سنوات الخمسين في الاقطار العربية المتطورة .

ولاحظنا كذلك ان البرجوازية الصغيرة والفئات الاجتماعية الوسطى وصلت الى مواقع السلطة في عدد من الاقطار العربية ، مصر وسوريا والعراق وليبيا عن طريق حركات الجيش في الاساس ، لان البرجوازية القومية فقدت القدرة على الاستمرار في الحكم ولانها فقدت القدرة على حل المشاكل التي واجهت البلاد العربية في المرحلة الثانية من معركة الاستقلال ـ مرحلة الاستقلال الاقتصادي والاصلاحات الاجتماعية .

واوضح هذا التطور الحزب الشيوعي السوري في برنامجه فاكد :

« وقف كبار البرجوازيين وكبار ملاكي الاراضي ضد هذا التطور الجاري في حركة التحرر العربية وساروا الى جانب عملاء الشركات والرساميل الاستعمارية في سياسة التعاون مع الاستعمار . اما البرجوازية الوطنية (القومية ا. ت) الكبيرة التي اتسمت سياستها بطابع العداء للاستعمار في اعقاب الحرب العالمية الثانية فقد تحولت عن هذه السياسة خصوصا بعد ان احتدمت المعركة الطبقية حول سبل التطور الاجتماعي والاقتصادي . واكدت المعركة الطبقية الداخلية كما اكد تطور الصراع مع الامبريالية عجز البرجوازية الوطنية الكبيرة ليس فقط عن تحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي بل حتى عن حماية الاستقلال الوطني (اقر في المؤتمر الرابع الذي عقد في دمشق بين ٢٦ و ٢٨ ايلول ١٩٧٤ ص ٩٠) .

وكان هذا تطورا طبيعيا لان مهام الثورة الوطنية الدمقراطية اندمجت في عدد من الاقطار بمهام التحول الى طريق التطور غير الراسمالي الذي تالفت مقوماته من الاصلاح الزراعي (أي تصفية ملكيات الارض الكبيرة وزعزعة مواقع اسياد الارض الاقتصادية والسياسية) ومن التاميمات الواسعة النطاق (التي انزلت ضربات قاصمة بالبرجوازية الكبيرة) .

وشددت هذه الاجراءات الاصلاحية العميقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي من الصراع الطبقي في داخل الاقطار العربية التي انتهجت طريق التطور غير الراسمالي وانعكس هذا الصراع في المحافل الحاكمة مما ادى الى عملية فرز وتقطب حددته الاحزاب الشيوعية والعمالية في الاقطار العربية على الوجه الآتي :

« ولا شك في انه مع تعمق النضال ضد الامبريالية وتطور الصراع الطبقي يمكن ان تبرز واخذت تبرز فعلا هنا وهناك في صفوف حركات الدمقراطيين الثوريين واحزابهم (مثل « البعث » في العراق وسوريا) ، فئات يمينية يتجلى اكثر فاكثر جانبها الطبقي المحافظ المنبثق من مصالحها المادية من حيث ازدياد ارتباط هذه المصالح بالسوق الراسمالية العالمية وبالفئات المستثمرة الطفيلية في الداخل .. وتعمل هذه الفئات لجر مجموع الحركة الدمقراطية الثورية في اتجاهها » (بيان للاحزاب المذكورة صادر عن اجتماع عقده ممثلوها في اواسط كانون الاول ١٩٧٦ ـ طريق الشعب ١٩٧٧/١/٤ « الاتحاد » ١٩٧٧/١/٢٥) .

والحقيقة هي ان هذه الفئات اليمينية في البرجوازية الصغيرة والفئات الاجتماعية الوسطى تتالف من شريحتين الاولى عناصر ترتبط بالبرجوازية الكبيرة منذ البداية وتقف في الجناح الرجعي من

تنظيمات الدمقراطيين .. والثانية عناصر تتحول خلال تنفيذ الاصلاحات الاجتماعية الجذرية وخصوصا التاميمات وبناء القطاع العام ، الى بيروقراطية برجوازية تنحاز مع الايام الى القوى الطبقية العليا التي لا تختفي من المسرح السياسي او الميدان الاقتصادي تماما – الى البرجوازية في المدينة والريف .

وهذا ما جعل الاحزاب الشيوعية في العالم العربي تلاحظ ، كما ذكرنا ، طبيعة البرجوازية الصغيرة المزدوجة وتؤكد بانها « تحمل في ايديولوجيتها وممارستها وجهين متناقضين وجها ثوريا واخر محافظا ، وجها دمقراطيا واخر بيروقراطيا وفي ظروف معينة دكتاتوريا » (برنامج الحزب الشيوعي السوري ص ٩٥) .

وعلينا ان نذكر ان هذه البرجوازية الصغيرة تميزت دائما بتذبذبها من ناحية وتخوفها من الطبقة العاملة من ناحية اخرى ولذلك اتجهت عادة نحو الحد من الدمقراطية حتى حين تقوم بتنفيذ اصلاحات اجتماعية جذرية ، فعندئذ تقوم بذلك عن طريق المراسيم الادارية ولا تسمح بتحرك الجماهير او تنظيمهم الدمقراطي .

وعلى ضوء الخبرة التي مرت عليها الاقطار العربية خلال العقدين الاخيرين نستطيع ان نستخلص بعض النتائج حول سلوك البرجوازية الصغيرة والفئات الاجتماعية الوسطى بعد ان وصلت الى الحكم ..

اولا .. اثبتت الخبرة في مصر ان الاصلاحات الاجتماعية العميقة لا تمنع ، خلال الصراع الطبقي في المجتمع وانعكاسه في محافل السلطة التي تتألف من البرجوازية الصغيرة ، من الردة المعادية للعملية الثورية .. فالجناح اليميني من هذه البرجوازية تسانده فئات واسعة من البيروقراطية البرجوازية التي نمت في القطاع العام ، في غياب المراقبة الشعبية ، ارتد عن طريق التطور غير الراسمالي وهو يشجع البرجوازية القومية والصغيرة على النمو الى برجوازية كبيرة في المدينة والريف وبذلك يخفف – ومع الايام يلغي اذا استمر في هذا النهج – اهمية الاصلاحات الاجتماعية التي تجمدت منذ بضعة سنين .

وبحق شرح الحزب الشيوعي اللبناني هذه الظاهرة فقرر :

« الا ان انفراد ممثلي البرجوازية الصغيرة بالسلطة وعدم الوضع الفكري لديهم لآفاق التطور المقبلة ، والطبيعة المزدوجة المتناقضة للبرجوازية الصغيرة اوجد الامكانيات لتحول عناصر منهم الى فئة بيروقراطية مدنية وعسكرية فقدت صفتها كممثلة لمصالح الفئات الواسعة من البرجوازية الصغيرة والجماهير الكادحة عموما . » ..

ثانيا : اثبتت الخبرة ان من الممكن كذلك ان تستمر قيادة البرجوازية الصغيرة في السلطة في نهجها الثوري وتواصل المسيرة على طريق التطور غير الراسمالي . فهذا هو الوضع في الجزائر حيث تواصل السلطة الثورة الزراعية او الاصلاح الزراعي وتدعم مكاسب التاميمات وتقيم القطاع العام بوتائر متسارعة وتستفيد من الثروات الوطنية وتسمح للعمال ، الى حد ما ، بالمشاركة في تسيير بعض المؤسسات الاقتصادية .

ثالثا : شهدت هذه الفترة نسقا ثالثا ، في العراق وسوريا مثلا ، حين قامت جبهات وطنية وقومية تقدمية يتعاون فيها الحزب الحاكم ، البعث – وهو يمثل البرجوازية الصغيرة والفئات الاجتماعية المتوسطة – والحزب الشيوعي في تنفيذ مهمات الثورة الوطنية التقدمية التي يندمج بمهمات السير على طريق التطور غير الراسمالي .

وهكذا في حين يقف الشيوعيون في الحالة الاولى في قيادة نضال العمال والفلاحين وفئات الشعب الاخرى بما فيهم البرجوازية الصغيرة المتضررة ، يقف الشيوعيون في الحالة الثالثة الى جانب الحزب الحاكم ويتعاون معه في السير بالعملية الثورية الى امام .

اما في الحالة الثانية فالشيوعيون (في حزب الطليعة الاشتراكية) يؤيدون العملية الثورية ، من مواقع المسؤولية ، وينادون من اجل تثبيتها وتعميقها .

ولكن حتى في الاقطار العربية التي قامت فيها جبهة مع الشيوعيين يستمر الصراع الطبقي ويشتد بتطوير الاصلاحات الاجتماعية ومواصلة طريق اللا راسمالية وينعكس بدوره في حزب البرجوازية الصغيرة والفئات الاجتماعية الوسطى – البعث في حالة العراق وسوريا .

وهذا ما ابرزه الحزب الشيوعي السوري في مطلع تعاونه مع « البعث » حين قرر ان قضية المستقبل او لمن ستكون الغلبة الاشتراكية ام لراسمالية الدولة فهي قضية لم تحسم بعد لان الصراع يدور بين اتجاهين « اتجاه تقدمي يعمل على صيانة المكتسبات التقدمية وتعميقها وذلك بانجاح القطاع العام وتطويره وتطوير القوى المنتجة والاسراع في بناء مشاريع التنمية وتحسين التخطيط ووقف عملية تشكيل راسمالية كبرى جديدة وتصفية الملكية الكبيرة في الريف ونشر التعاون الانتاجي في الزراعة والحرف وتوجيه القطاع الخاص وتنظيمه بشكل يجعله مساعدا على تنفيذ خطة التنمية ومهام القطاع العام » والهدف من كل ذلك تأمين حاجات المجتمع المتنامية والصمود امام الامبريالية والصهيونية وتحسين اوضاع الطبقة العاملة والفلاحين في ميادين الاقتصاد والاجتماع والثقافة .. ولا يمكن تحقيق هذه المهام الا بتوطيد اواصر الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي وسائر الدول الاشتراكية.

او اتجاه يميني ورجعي يعمل على افشال التدابير التقدمية بتنشيط القطاع الراسمالي ومنع نمو القطاع العام وخلق الصعوبات والعراقيل في وجهه وتفريغه من محتواه بالسعي لان يستغله القطاع الراسمالي ، كما يعمل على تبديد اموال الدولة على الجهاز البيروقراطي وفي بناء مشاريع غير منتجة (فنادق مثلا) وعلى عرقلة مشاريع التنمية والبعد عن التخطيط العلمي الشامل وعلى احكام قبضة التجار الكبار على توزيع المواد الاستهلاكية وعلى السعي لتوظيف الرساميل الاجنبية . (البرنامج ، ص ٣٦ – ٣٧) .

ومن منطلقات فهمه طبيعة هذا الصراع يدعو الحزب الشيوعي

العراقي ، الذي يتعاون مع حزب البعث في الجبهة والحكومة ، الى صيانة المكتسبات التقدمية وتطويرها ومواصلة المسيرة الثورية ويرى ان شرط ذلك هو توسيع الديمقراطية وتعميقها حتى يتمكن العمال والفلاحون والمثقفون التقدميون وسائر الفئات الاجتماعية ذات المصلحة في تطوير الثورة من المشاركة في انجاز المهمات الآتية وصيانتها .. ولهذا دعا الحزب في برنامجه الذي اقره في مؤتمره الثالث (ايار ١٩٧٦) فيما دعا اليه من امور ضمان حرية الاحزاب الوطنية التقدمية دون قيود او مضايقة (١) واقامة المؤسسات الدستورية واقامة مجالس حكم محلي شعبية وتطهير جهاز الدولة من العناصر الرجعية والمخربة ومكافحة البيروقراطية .

فبالديمقراطية يستطيع الحزب الشيوعي في العراق وغير العراق ان يحشد الجماهير في المدينة والقرية لحسم الصراع في مصلحة التقدم الاجتماعي ، لمصلحة العمال والفلاحين وسائر الفئات الشعبية .

والسؤال عند هذا الحد هو كيف نرى المستقبل ؟

علينا قبل كل شيء ان نحدد القوى المتصارعة في الاقطار العربية ، فعلى ضوء توازنها تنجلي امامنا خطوط التطور العامة .

ولنذكر هنا مرة أخرى ان الاقطار العربية تتميز بتطور غير متعادل وبتفاوت تطور حركاتها القومية ، ولهذا فهي تواجه مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية حسب ظروفها الملموسة التي تقرر اصطفاف القوى الاجتماعية ـ الطبقية في المعركة القومية العينية .. ولهذا نجد ان البرجوازية القومية في المغرب الاقصى مثلا لا تزال تتحلى ببعض النضالية القومية لان البلاد وقعت منذ استقلالها السياسي ، بفضل ملكيتها الاقطاعية الى حد كبير ، في قبضة الكولونيالية الجديدة .

في بيان الاحزاب الشيوعية والعمالية الذي صدر في اعقاب مشاوراتها في موسكو في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠ جاء :

« وفي المستطاع ان تحل بنجاح القضايا الملحة التي تواجه النهضة الوطنية في الاقطار التي خلعت النير الامبريالي ولكن بشرط واحد هو ان تكافح الامبريالية والبقايا الاقطاعية بعزيمة وتصميم ، جامعة في جبهة وطنية ديمقراطية موحدة جميع القوى الوطنية في الامة » .

وجاء في البيان ايضا ، ان تنفيذ مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية توحد كافة القوى التقدمية ، واكد ان التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين انما هو قوة فائقة الاهمية في الظفر بالاستقلال الوطني والدفاع عنه وفي تحقيق التحولات الديمقراطية العميقة وتامين التقدم الاجتماعي . وهذا التحالف مدعو لان يكون اساسا لجبهة وطنية واسعة . وعلى قوته ومتانته تتوقف ايضا الى حد غير قليل درجة اشتراك البرجوازية القومية في النضال التحرري .

وهذا التعميم ينطبق بشكل عام على الاقطار العربية التي لا تزال في المرحلة الاولى من مراحل تنفيذ مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية .

اي ان الجبهات الوطنية المعادية للامبريالية لا تستبعد اي قوى اجتماعية طبقية الا حين تنقلب على الثورة وتحاول اجهاضها بالتعاون مع الامبريالية والرجعية او حين تتناقض مصالح تلك القوى الاجتماعية مع الجماهير الشعبية الواسعة .

واستبعاد الاقطاعية اولا وبعد ذلك البرجوازية الكبيرة والوسطى ثانيا ، عن الجبهة لم يكن اجراءا اداريا بل نجم عن مواقف هذه القوى من الثورة الوطنية التقدمية .

ولو اخذنا العراق اليوم لوجدنا ان القوى الثورية تتالف من الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين التقدميين وسائر البرجوازية الصغيرة في المدن والعناصر التقدمية من البرجوازية الوسطى . ويشكل حلف العمال والفلاحين وسائر الكادحين القوة الاساسية في هذا المعسكر . (برنامج الحزب ، ايار ١٩٧٦ ، «طريق الشعب» ، ١٦ـ٥ـ١٩٧٦) .

اما القوى المعادية للثورة فهي بقايا الاقطاعيين وكبار الملاكين والبرجوازية الطفيلية من التجار والمرابين وارباب العقارات والبرجوازية البيروقراطية في اجهزة الدولة التي تبتز اموال الشعب وتتمتع بالامتيازات على حساب العمال . (المصدر ذاته) .

ويحدد الحزب الشيوعي العراقي طابع البرجوازية الصغيرة فيعلن انها « على الاغلب فئات كادحة من عمال اليد والفكر وتتحول اعداد واسعة منها باستمرار الى صفوف الطبقة العاملة في حين تنتقل اقلية صغيرة منها الى مصاف البرجوازية وهي وان كانت غير متحررة من ايديولوجية الملكية الخاصة ، الامر الذي يطبع سلوكها السياسي بالقلق والتذبذب ، فانها موضوعيا وبوجه عام قوة ثورية وحليف للطبقة العاملة» . (المصدر ذاته) .

ولا يختلف الوضع في التوازن الطبقي في سوريا عنه في العراق .. والصراع الطبقي يحتدم في سوريا كما يحتدم في العراق ، ومن الطبيعي ان ينعكس في السياسة الخارجية فتقف القوى الوطنية والتقدمية ـ العمال والفلاحون والمثقفون والبرجوازيون الصغار والفئات الاجتماعية الوسطى ، الى جانب الصداقة مع الاتحاد السوفييتي وسائر الاقطار الاشتراكية وتكافح الامبريالية ، في حين تقف اسياد الارض الكبار والبرجوازيون الكبار والطفيليون في مخيم دعاة مهادنة الامبريالية والتعاون مع الرجعية وعرقلة التطور غير الراسمالي .

وهنا ايضا نلاحظ كيف ان التردد في تعميق الاصلاحات الاجتماعية الجذرية يفتح الثغرات امام نمو البرجوازية في المدينة والريف .. ويصور الحزب الشيوعي السوري هذه الحقيقة في قطاع الريف فاعلن في معرض تحليله التركيب الاجتماعي الفلاحي :

« فئة الفلاحين الاغنياء الذين يملكون او يستاجرون العمال بصورة دائمة او موسمية ويجنون ارباحا كبيرة هؤلاء الفلاحون

الاغنياء وان كانوا قد ارتاحوا للاصلاح الزراعي الذي ازال الى حد كبير نفوذ الاقطاعيين من الريف ، فهم يستفيدون من قدراتهم الاقتصادية وعلاقاتهم الكبيرة باجهزة السلطة من اجل الابقاء على نفوذهم الاقتصادي والسياسي في الريف وعلى علاقات الاستثمار القائمة فيه . انهم يعرقلون التطور اللاحق الضروري لصالح العمال في الريف ولصالح التطور العام في البلاد » . (البرنامج ، ص ٦١) .

طبعا اصطفاف القوى الطبقية في مصر تعود الى سابق عهدها في الان ، بعد «الانفتاح» ، ومنح البرجوازية الصناعية والتجارية واصحاب العقارات واسياد الارض الحرية في العمل والاستغلال ، تشابه الانقسام الطبقي والاصطراع الناجم عنه ، الذي يميز الانظمة الراسمالية الكلاسية .

اما في لبنان فالاقطاعيون وكبار الملاكين والتجار الوسيطيين والماليين الكبار هم الذين يشكلون القوى الرجعية التي تتعاون مع الامبريالية وتجابه العمال والفلاحين والبرجوازيين الصغار وسائر الفئات الشعبية . ومن هؤلاء قامت الجبهة الوطنية والتقدمية اللبنانية من الحزب الشيوعي اللبناني والحزب الاشتراكي التقدمي والتقدميين العرب والناصريين .. وهذه الجبهة هي التي صمدت بالتحالف مع منظمة التحرير الفلسطينية امام هجمة الانعزاليين الرجعيين المتحالفين مع الامبريالية والرجعية العربية والصهيونية . وعلى هذه الجبهة ان توسع صفوفها وتعمق جذورها لتقوم بتنفيذ مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية .

ومن الممكن ان نرى قاسما مشتركا في الاقطار حيث قامت جبهات يشترك فيها الشيوعيون هي قاعدة الحكومات .. والاقطار التي قامت فيها جبهات نضالية يشترك فيها الحزب الشيوعي . هذا القاسم المشترك هو التحالف بين الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة (بيان الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية ، «الاتحاد» ، ١-٥-١٩٧٥) .

وهذا طبيعي اذ انهما على الرغم من خلافاتهما يسيران تاريخيا في نفس الاتجاه . فعدوهم - الامبريالية والرجعية العربية والصهيونية - هو عدو مشترك ، كما انهما يخافان عودة سيطرة البرجوازية الكبيرة واسياد الارض الى الحكم - حيث هما في الحكم - بمساعدة الامبريالية او الكولونيالية الجديدة .

والآن نصل الى القضية الاخيرة في بحثنا ، قضية القيادة .. وقد أكدت الاحداث هذه القضية بالحاح خصوصا بعد الردة في مصر واخطار ترجيح كفة اليمين في سوريا .. ولا يمكن اهمال نتائج ضغوط حكومات الدول العربية النفطية مثل السعودية والكويت ودولة الامارات على الانظمة العربية التقدمية المعادية للامبريالية .. فهذه الحكومات بقدراتها المالية الضخمة تبذل جهودا كبرى عن طريق الهبات والقروض لحرف الدول العربية عن طريق معاداة الامبريالية والرجعية . ومن دواعي القلق هو ان قادة الدول العربية التقدمية ينتسبون الى البرجوازية الصغيرة المعروفة بتذبذبها وبروز عناصر يمينية بين صفوفها في ظروف تطور الصراع الطبقي .

في وثيقتهم الصادرة عن مشاوراتهم في موسكو في حزيران عام ١٩٦٩ ابرز ممثلو الاحزاب الشيوعية والعمالية ظاهرة الفرز الاجتماعي الطبقي فاعلنوا :

« ويتطور تباين اجتماعي في الدول الفتية وتشتد حدة النزاع بين الطبقة العاملة والفلاحين والقوى الديمقراطية الاخرى بما فيها فئات البرجوازية الصغيرة ذات الآراء الوطنية من جهة والامبريالية وقوى الرجعية الداخلية وخاصة عناصر البرجوازية القومية التي البرجوازية القومية التي يشتد تواطؤها مع الامبريالية اكثر فاكثر » .

والسؤال : هل هذا التقدير لا يزال صحيحا ام ان عناصر البرجوازية الصغيرة بدات تنحرف الى اليمين وتتواطأ مع الامبريالية والرجعية العربية ؟ .

نظن ان من الخطأ وضع البرجوازية الصغيرة والفئات الاجتماعية الوسطى التي تحكم في عدد من الاقطار العربية وتنتهج سياسة ايجابية في جبهة واحدة .. بل علينا ان نؤكد امرين : ان هذه الفئات في الفترة المعاصرة تقوم بدور ثوري بشكل عام وان بعض عناصرها تنتقل خلال المعركة الى معسكر الرجعية المتعاونة مع الامبريالية . بمعنى اخر ، لم تستنزف هذه الفئات طاقاتها الثورية ومحافلها الواسعة تجد مصلحتها « في تنفيذ مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بطريقتها الخاصة وبعض فئاتها تنزع الى الاشتراكية وتعلن عن عزمها على بنائها » .. (مقال «دور البرجوازية الصغيرة» ، مجلة «الحقيقة» ، العدد ١ ، ١٩٦٩) .

وعلى هذا الضوء من الخطأ طرح شعار قيادة الطبقة العاملة في استكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية التي تندمج في بعض الاقطار بمهمات التطور غير الراسمالي ذي الآفاق الاشتراكية في عدد من اقطار العالم الثالث ومنها اقطار عربية .

ولكن هذا لا يعني ان لا تطمح الطبقة العاملة في الدول العربية في حلف مع الفلاحين الى القيادة .. الا ان هذا سيكون حصيلة تطور ونضال تخوضه طليعة الطبقة العاملة : الاحزاب الشيوعية والعمالية في الاقطار العربية .

وهذا هو توجه هذه الاحزاب .. جاء في بيانها الصادر في كانون الاول ١٩٧٦ ان حركة التحرر الوطني العربية تشكل قوة ثورية هائلة حققت نجاحات كبيرة وتتمتع بتأييد حلفاء اقوياء مثل الاتحاد السوفييتي وفي وسعها ان تحبط الهجمة الامبريالية والانتقال الى مرحلة اعلى من تطورها ولكن ذلك « يتطلب حشد كل الطبقات والفئات ذات المصلحة في هذا النضال - الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدينة والمثقفين الثوريين وكذلك الاقسام الوطنية من البرجوازية المعادية للامبريالية . وفي هذا التحالف الطبقي تلعب الطبقة العاملة والجماهير الكادحة في المدينة والريف دورا هاما يتصف بالثبات والحزم . وان دلالات الحاضر وآفاق المستقبل تشير الى نمو وزن الطبقة العاملة (٢) التي تزداد عددا وتتعمق وعيها السياسي وتلعب ادوارا نشيطة في النضالات

الوطنية والطبقية . وتعمل الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية لتعزيز هذا الدور » .

من الطبيعي ان يتطور دور الطبقة العاملة مع نمو مرحلة تنفيذ مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية الى مرحلة تعميق السير على طريق التطور اللا راسمالي والى مرحلة بناء الاشتراكية .. ليس من الضروري ان يكون النمو عبر فترات منفصلة فمن الممكن ان يكون النمو عاصفا مثلما كـــان نمو ثورات التحرر القومي الى ثورات اشتراكية في عدد من الاقطار (الصين وفيتنام وكوبـــا وغيرها) .

عندئذ تقفز الطبقة العاملة الى موقع الصدارة بينما هي الآن قد حققت في بعض الاقطار العربية عن طريق الاحزاب الشيوعية المشاركة في عملية التحولات الاجتماعية الجذرية ..

ويعتمد صعود الطبقة العاملة الى مكان الحسم ، لا على توازن القوى الطبقية ومواقعها في الخريطة السياسية والسلطة فحسب ، بل على قدرة احزابها الطليعية ، الاحزاب الشيوعية والعمالية في العالم العربي ، على حشد القوى الشعبية وتجنيدها في المعارك القومية والاجتماعية .

إشارات :

١ ـ في العراق يعتقل الشيوعيون لانهم يقرءون «طريق الشعب» مثلا ...

٢ ـ في كتابه « نضال العرب من أجل الاستقلال الاقتصادي » كتب مولود عطا الله عن نمو الطبقة العاملة العربية اعتمادا على احصاءات سنوات الستين ما يأتي : وفي سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية وخصوصا بعد احراز الاستقلال اخـــذت الصناعة الوطنية تتطور واخذت الطبقة العاملة تزداد عددا . ولم يكن يوجد هنا قبل الحرب اكثر من ١٫٤ مليون عامل اغلبهم كانوا يعملون في المؤسسات الحرفية الصغيرة ذات التكنيك البدائي . اما الآن فقد بلغ تعداد الطبقــة العاملة ٥٫٦ ملايين عامل ويبلغ عدد عمال المصانع والمعامل من بين هؤلاء ١٫٥ مليون عامل ويوجد اكبر عدد من العمال (بمن فيهم من العمال الزراعيين) في مصر (٢٫٦ مليون) (ص ٤٩) .

استشهاد
كمال
جنبلاط

* حين تفجر نبأ استشهاد المفكر والزعيم كمال جنبلاط فداء للحرية والسلام ، كانت « الجديد » في ساعات طباعتها الاخيرة ، بيد أن « الجديد » تسهم بحقها وواجبها في نعي المناضل الكبير ولو بهذه الكلمات المتواضعة . ان منح « وسام لينين للسلام » لكمال جنبلاط هو أنبل شهادة يحظى بها انسان مناضل ، من قلعة الحرية والسلام ، الاتحاد السوفييتي . وبعد هذه الشهادة لا يبقى كثير من الكلام . لقد كرس الشهيد حياته وفكره وعمله في خدمة شعبه اللبناني وشعبنا الفلسطيني وفي خدمة قضية الحرية والسلام والاشتراكية للامة العربية وللعالم بأسره . لذا فقد كان من الطبيعي أن يحدث رد الفعل الكبير الذي تلا جريمة اغتياله ، وكان من الطبيعي أيضا أن تنشط أبواق الاستعمار والصهيونية والرجعية للهجوم عليه ومحاولة استغلال جريمة الاغتيال لبذر المزيد من بذور الشر ، بذور التفرقة والاحتراب الاهلي .. لكنه كان من الطبيعي أيضا ان يحبط شعبنا ، ذو التجارب الباهظة ، كل المؤامرات والاكاذيب الدنيئة التي حاول الاعداء ترويجها ليتمتعوا بمزيد من دمنا المسفوك وعذابنا المر . لم يكن كمال جنبلاط ابن طائفته وابن شعبه فحسب . اننا ننتقص من قدره اذا زعمنا ذلك . كان ولا يزال ابنا بارا لكل أمته ولكل الشعوب ومن هنا عظمته وضخامة حدوده الانسانية .

العار للنفوس والايدي الأثيمة .. ولك المجد والخلود يا أبا الوليد !

● من القصائد الاخيرة للشاعر الشهيد راشد حسين ●

ثورة على سفر

ـ ١ ـ

ما الذى ظل من الثورات ....
من أجمل أحلامى القديمه
غير آثـار وليمـه
ونجوم فوق أكتاف الذين امتهنوا
شرح الهزيمة ؟!
ما الذى ظل سوى جيش مقالات حبالى
بحسابات بنـوك
وتفاسير لتبرير الجريمه ؟!
ما الذى ظـل ...
سوى مطربة ان ولولت : « حيفا ويافا »
عرق البنك دنانير من القدس القديمه ؟!
ما الذى ظـل ...
سوى ان نبدأ الثورة من أول حرف
ما الذى ظـل ...
سوى قتل الجريمة ؟!

ـ ٢ ـ

تبدأ الثورة فى عينين من دون وطن
تـبدأ الثـورة ..
فلاحا بلا أرض
وبوليسـا لـه أرض
وأرضا ...
كل ما فيها انسجن
تصنع الثـورة لمـا ...
يقرأ الامى والكاتب والاعمى الحقيقة
فيصير الحرف من دون ثمن
ويصير الرأى من دون ثمن
ولهـذا يا رفـاق :
أنا تعبان من التخدير ..
من كل خطابات المماليك العرب
ومن الرب الذى يسكن فى سبع سماوات طبـاق
ذلك الرب الذى لـم نبق لـه ..
غير تحريم الخنازير وتحليل الطرب
أنا تعبان من الرب الذى حوله جدى
بياع جنان وحوارى
والذى أصبح فرانا .. لحرقى
سوف يقضى العمر فى جمع الحطب
ولهذا يا رفـاق
أصبح الصبر تعـب
أغضبـونى
أغضبـونى
واغضبـوا !
تشتهى الثورة لحظات غضب

ـ ٣ ـ

ثم مـاذا ؟ ....

كنت طفلا ...
ولدتني طفلة في السوق
قدام جميع الكهنه
ثم جروها الى السجن وما زالت هناك
طفلة ممتهنة
ولهذا حينما أكتب شعرا .. أتمزق
ودم من رحم أمي
فوق وجهي يتدفق
عندها ...
ينجن شعرى باحثا
عن وجوه الخونه
غير انى ...
ان يرح أعصابكم كذب ...
أصر أكذب شاعر
وأعبىء لكم الشعر طبولا ... واكابر
وأغنى :
أنا شمس لا تهاجر !
واذا شئتم .. سأسترجع بالشعر بلادى فى
ثوان –
– ولتسامحنى بلادى !
– ولتسامحنى الثوانى !
ولتسامحنى القوافى والدفاتر !
غير انى ... يا رفاق
رغم ما فى الكذب من شهد
سأبقى العمر .. فلاحا يكابر
أينما يمشى .. تروا ميلاد شاعر .
تفرح الثورة بالناس
ولا يفرح بالثورة الا قلب ثائر
وبلادى ثورة فى السجن
لكن ...
كلكم فيها سجين
كلكم فيها مسافر !
صدقونى يا رفاق !
وطنى ما عاد أرضا وحقولا وبيادر
وطنى أصبح ثورة
ثورة تجعل حتى أقدم الثوار .. ثائر .

(نشرت هذه القصيدة فى عدد من الصحف العربية)

* حنـا ابراهيم *

أنا ابنك!

ترابك معبـدى وهـواك دينى
ولست بمقسـم لتصدقينـى
انا ابنك لا يـزال على شفاهى
حليبـك والضراعـة فى عيونى
أنا ابنك فانظرى قسمات وجهى
وجسى معصمى وتشممينـى
ألست ترين فى سمـات أهـلى
مـن الخـد المصعـر والغضون
شحوب ملامحى ونحول جسمى
وآثـار المناق والسجـون
ووشم الشمس فوجهى وظهرى
وأشباح الهموم عـلى جبينـى
وان أنكـرت فى عينـى حزنـا
فذلكمو حديـث ذو شجـون
أنا ابنك اهتـدى والليـل داج
بريح ثراك والحـب الدفـين
أيخطىء امه جـدى رضيـع
اذا اختلط القطيع على العيـون
الست كاخوتى خلقـا وخلقـا
حماك الله مـن ظلـم البنـين
فمن ريح الشمال أخـذت عنفى
ومن عشب السهول أخذت لينى
ومن اكماتها القفـراء فقـرى
وأعمق من محاجرهـا معينى
ومثل جبالها صعـب مـراسى
وكالزيتـون فى نظـر السنـين
دعينى لا أبالـك مستفيضـا
ببث لواعج الشكـوى دعينـى
كما يسـعى لمغفـرة الخطايـا
على كرسى اعتـراف ذو يقـين
أعيـذك أن تظنينى لجوجـا
كثـير الشكـو مرتبك الظنـون
وانى اذ شكـوت اليـك همـى
لاحمل كـل همـك ، حملينـى
لغـيرك ما شكـوت ولا لربـى
صروف نوائـب الدهر الخؤون
ابيت اللعـن ان بنيـك كثـر
فهل عليـت رأسـك بالبنـين
وكنت رايت فى سخنـين منهـم
وفى عرابـة البلـد الامـين
مواقف يشهـد التاريخ عنهـا ،
كما شهد الجليل ، مـع اليمـين
بـأن السـاعـد العـزلاء الا
من الايمـان والعـزم المتـين

تصــدت للــدروع تحد شــرا
وتدفع بالاكــف عــن العريــن
الا فليعلــم الاقــوام لسنـــا
بعيد اليوم بالحمـل السمـين
فللحريــــة الحمــراء جيـش
وأقواس مــن النصــر المبــين
تخيم فــوق أنغــولا وكوبـــا
ومن موسكو تمــد الى بنــين
ونحن لهــا ألسنــا اليوم نبنى
نوادى دونهــا كل الحصــون
أنا ابنــك قلت لكن لســت فردا
شعــوب الارض مقدرة وعــدا
تحــط لآلــة الطغيــان حـــدا
فقرى بالشباب الحــر عينـــا
وكــونى حيــث شــاء المجـــد كــونى

من تراثنـــا

※ من أخبار عمر بن عبد العزيز ، الحاكم العادل : كتب الجراح بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز : ان أهل خراسان قــوم ساءت رعيتهم ، وانه لا يصلحهم الا السيف والسوط ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى ذلك . فكتب اليه عمــر : أما بعد ، فقد بلغنى كتابك ، تذكر أن أهل خراسان قــد ساءت رعيتهم ، وانه لا يصلحهم الا السيف والسوط ، فقد كذبت ، بل يصلحهم العدل والحق ، فأبسط ذلك فيهــم ، والســلام .

* شكيب جهشـــان *

تكاثروا ..

«من وحي الوثيقة ، والوحدة العربية ،ومؤتمرات القمة»

تكـــــاثروا ..
فانني مفاخر بكم شعوب الارض
تكاثروا فى الطـول
تكاثروا فى العرض ..
فأرضنـــا معطـــــاء
وسكـــة الحراث جاهــده
وحبـــة البذار واعــده
وألف واعــــده
تكاثــروا .. وانزرعــوا فى الارض .

***

نحن هنا باقون فى بلادنـــــا
يـــا عصبة التتـــار ..
نحن هنـــا باقون .
جذورنا تمتد فى الاعماق .. فى الاعماق
كشجـــر الصبـــــار
أرجلنا تشتـــد فوق الارض
كشدة الزيتـــون
والاعصـــار
رؤوسنـــا تشمخ فى الآفـــاق
تشامخ السمـــاق

والعمـــلاق
يـــا عصبة التتـــار
يقهقه الصبار
ويبسم السريس
فى كل ليل فوقكم كابـــوس
وعندنـــا عريس

***

أواه يـــا هشـــام
الليل فـــوق الشـــام
وجنـــد هولاكـــو يقهقهون
ويهتكون
والمسجـــد المحزون يا عروبتى
يذرفهـــا ســـجام
أواه يـــا هشـــام
فالليل فـــوق الشـــام
« ألم يفض يا اخوتى الانـــاء ؟ »
دمـــشق يـــا حبيبتـــى
انعتقـــى
وانطلقـــى
وأرضعى الدنيا سنى وكبرياء

***

يا شعبى المحلوب فى الآفاق
يا بذرة العطاء ... والفداء
يا دفقة الحب على الدنا
يا عبق الاشواق
يا شعبى المحلوب
والشوك يعصب الرؤوس والقلوب
وتنتخى الحراب
يا طرفة البكرى
خان الاقرباء ؟!
والكبد فى الصحراء
تعلكها الكلاب
تبصقها الكلاب .

***

وعصبة الخصيان فى قاهرة المعز
يرطنون
وينتشى كافور ؟!!
يا ضيعة النسور
ياعصبة الخصيان
يا ملوك القار
يا أمراء الزفت
يا مشايخ الاحضان
والقات والسيقان
« لن يعبر الفاشست »

يا أمراء الزفت
فالزعتر البرى فى بلادنا
يصمد كالابطال
« لن يعبر الفاشست »
ونحن فى بلادنا نكثر كالنمال
« فليذبح الفاشست »
فنحن فى بلادنا
نعيش كالرجال
نموت كالرجال
ونصنع الرجال .

***

تكاثروا
وانتشروا فى الارض عمالا وفلاحين
وأذرعا كالصلب لا تلين
وأعينا كالدفء فى بلادنا
كالحب فى أكبادنا
وانتشروا فى الطول
وشيدوا فى العرض
وانزرعوا فى الارض ..

اشارة :

● الشاعر شكيب جهشان هو استاذ اللغة العربية فى مدرسة الرامة الثانوية ، وهو من أبرز وجوه الرعيل الادبى الثانى فى بلادنا ، وله نتاج سابق فى الشعر والاقصوصة ، وتشكل هذه القصيدة مرحلة جديدة وهامة نرجو لها النماء والازدهار .

الجديد

* سهام داوود *

أعشق بالحبر الابيض

فى أمسية بلا موعد ، بلا توقيت
تطلع الذكرى من جبينى
مهربة ، من سجن الى سجن
مبعثرة كنسيم بلادى
يهرب تنفسى تحت شالى المطرز
بالحبر الابيض
بالاغنيات المهربة
ولونه ، لا تسألوا ، كالكرمة ، كالنبيذ !
وحين سقط عن وجهى الجليد
أردت أن أودعه
بحثت ، أردت أن أكون قامته
مشيت قليلا لتيبس فى حنجرتى
العاصفة ..
كل الكلمات كانت محتجزة
أو ربما كانت مكتوبة بالحبر الابيض
استعدت تاريخ العرب
لم أجد أى حلم أستعيره
فانتفضت من جديد :
كيف تتحول الى أكذوبة ؟
لابقى أنا حنجرة محتجزة
فى مطارات العالم ، واشتاق لنسيم بلادى النقى
أذهب ، اترك حبى مع عناوين
غير موجودة
وعيناك جميلتان
من جديد
أردت ان أرسم شكل وجهه المشوه
فيك
تسل كالوطن المعذب بين الريح
وأجنحة العصافير
فى
وأنا لا أملك غير جلدى
وحلم بالحبر الابيض
وعينين واسعتين ، كالكرمل ،
فكل ما كان بيننا
قامتى المنتصبة
ومواعيد عابرة
حسب توقيت فلسطين ..
لعلك أجمل فى شكلك الحقيقى
ربما ..
لكنى أجد نفسى دمعة
على منديل أمى التى سئمت لونها
ألبلا لون
دمعة مجففة على المنديل ..
ولهذا أقول لكم :

اننى قابلة للتناسل
أعــرف الحقيقــة
وأعشق الكلمات المطرزة على شالى المعتق
المتأهبة ليل نهــارا

وأعشــق نسيم وطنى
والاطفال فى بيروت ، وفى سخنين .
وأعشق عاصفتى الحبلى
والرمــان !..

● من رسالة علي بن ابي طالب الى الاشتر النخعي والي مصر ●

... وأشعر قلبك الرحمة والمحبة لهم واللطف بهم . ولا تكونن سبعا ضاريا تغتنم أكلهم . فانهم صنفان : اما أخ لك فى الدين ، أو نظير لك فى الخلق . يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلــل ، ويؤتى على أيديهم فى العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك ...

.... ولا يكون المحسن والمسىء عندك بمنزلة سواء . فان ذلك تزهيدا لاهل الاحسان فى الاحسان ، وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة .. وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه ..

من « نهج البلاغة »

● فالنتينا ـ نيكولايفا ـ تيرشكوفا ●

المسألة النسائية والحياة الاجتماعية المعاصرة

● ان النساء ينتجن فى ايامنا هذه **اكثر من ثلث كل القيم المادية والروحية فى العالم** . وهن قوة جبارة تلعب دورا عظيما فى العمليات الثورية وحركات التحرر الوطنى وفى النضال من اجل السلام وامن الشعوب والتقدم الاجتماعى . وتحظى مسائل وضع المراة وخلق الظروف لمساواتهن الحقيقية مع الرجال باهتمام خاص لدى الراى العام العالمى التقدمى . فلا يستطيع وعى البشر ان يسلم بان المراة تعانى فى كثير من البلدان من التمييز على اختلاف انواعه .

ان المسالة النسائية قضية اجتماعية جادة ، تتخذ اهمية خاصة فى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية وتشمل جميع جوانب حياة المجتمع . **ان النضال من اجل تحرير المراة اجتماعيا هو نضال طبقى .** كما انه فى الوقت نفسه نضال جميع القوى الدمقراطية المحبة للسلام والمعادية للامبريالية ويتوقف نجاحه الى حد كبير على نشاط الاوساط الاجتماعية والناس على اختلاف اتجاهاتهم السياسية .

ولقد اعترف الراى العام العالمى التقدمى كله بالانجازات التاريخية العالمية التى حققها المجتمع الاشتراكى خلال بناء الاشتراكية والشيوعية ونجاحه فى تمكين المراة من لعب دور كبير فى الحياة الاجتماعية والسياسية .

ـ ١ ـ

كان ايديولوجيو الطبقات الحاكمة فى كل العصور يحاولون تبرير حرمان المراة من اية حقوق وتصوير وضعها هذا طبيعيا زاعمين بانه يعود الى خصائصها البيولوجية ووظيفتها الخاصة بالولادة .

ان هذه النظريات الرجعية قد حطمها مؤسسو الشيوعية العلمية فكريا . فقد برهن **ماركس وانجلس** على ان لعدم مساواة المراة فى المجتمع **اسبابا اجتماعية واقتصادية** ، وان حماية الامومة هى من واجبات المجتمع نفسه .

وطور **لينين** التعاليم الماركسية الخاصة بالمسالة النسائية وفقا لمتطلبات المرحلة التاريخية الجديدة . مرحلة الامبريالية . وتقول الفكرة المبدئية اللينينية الرئيسية الخاصة بهذه المسالة **ان النضال من اجل تحرير المراة انما هو جزء من النضال العام فى سبيل تغيير المجتمع على الاسس الاشتراكية .**

وبالرغم من أن المراة تتعرض فى ظل الراسمالية للاستغلال القاسى ، فان لينين يعتبر اشتراكها فى الانتاج ظاهرة تقدمية . واشار لينين فى الوقت نفسه الى **ان عمل المراة ، وهى ذاتها ، يصبحان فى المجتمع البرجوازى موضعا للاستغلال الوحشى من قبل الاحتكارات التى تجنى من ذلك ربحا اضافيا** وتؤكد صحة فكرة لينين هذه المعطيات عن وضع المراة فى العالم البرجوازى المعاصر .

يلاحظ فى البلدان الراسمالية المتقدمة ازدياد كبير فى عدد النساء المشتركات فى الانتاج . فهن يؤلفن **ثلث العاملين** ، ذلك مع العلم بان نسبتهن بين العاملين لا تزال تنمو . فقد **فتحت الثورة العلمية التكنولوجية آفاقا جديدة لاستخدام عمل المراة** . وظهر عدد من الفروع التى يغلب فيها عمل النساء ومن بينها **الصناعة الالكترونية وصناعة الهندسة اللاسلكية وصناعة الكيمياء الخ** ، وفى الوقت نفسه لم تقض الثورة العلمية التكنولوجية على نواقص المجتمع الراسمالى بل ادت فى كثير من فروع الصناعة الى تقليل عدد العاملين والى زيادة عدد العاطلين عن العمل . واصبحت النساء اول ضحايا للبطالة المتزايدة لان مستواهن المهنى أدنى من مستوى الرجال نتيجة التمييز ضدهن فى التعليم العام والمهنى .

وتضطر الاحتكارات فى الظروف الراهنة الى اعداد القوة العاملة ذات الكفاءة العالية بما فى ذلك القوة

العاملة النسائية . غير ان المجتمع البرجوازي لا يستطيع نظرا لطابعه الاجتماعي ، ان يضمن للعاملات التعليم المهني المتفق من حيث مستواه مع متطلبات عصرنا ، لان المجتمع القائم على استغلال الانسان لا يستطيع تحقيق المساواة التامة بين النساء والرجال في مجال التعليم العالي والمهني التكنيكي . فذلك يؤدي الى الغاء الاساس لدفع اجور اوطا للنساء . وان الاشتراكية وحدها تمكن المراة من احتلال مكانة عالية في الانتاج وتنظيمه وادارته وكذلك في العلم والتكنيك .

ان مبدأ دفع اجور متساوية للرجال والنساء مقابل عمل متساو تعلنه قوانين كثير من الدول البرجوازية كما اكده عدد من الوثائق الدولية ورغم ذلك فانه يخرق بفظاظة . فان اجرة المراة العاملة في البلدان المتقدمة صناعيا لا تبلغ الا ٥٠ — ٨٠٪ من اجرة الرجل مقابل العمل نفسه . اما شبكة مؤسسات الاطفال ما قبل السن الدراسية فلم تتطور الا قليلا وان اكثريتها في ايدي افراد يملكونها ولذلك فهي ليست في متناول اوساط الكادحين الواسعة . ولا يزال الزواج وانجاب الاولاد مانعا كبيرا في طريق بحث المراة عن العمل . وحق العمل غير مضمون ويتوقف وجوده على الوضع الاقتصادي القائم في البلاد وتعاني المراة من الاستغلال اكثر من الرجل . ويزداد وضعها سوءا الان بنتيجة ارتفاع الاسعار وتأزم الوضع الاقتصادي والتضخم المالي في المجتمع الراسمالي .

لا تريد النساء العاملات التسليم بوضعهن وبما يعانينه من الجور . ففي الاعوام الاخيرة اشتركت ملايين العاملات في حركة الاضرابات الجماهيرية والتظاهرات التي نظمها كادحو فرنسا وبريطانيا وايطاليا والولايات المتحدة ، مدافعات عن حقوقهن .

وقد نجحت النساء في التوصل الى بعض المكاسب بفضل نضالهن العنيد ، في مجال سلامة العمل والضمان الاجتماعي وغير ذلك . ويجدر بالذكر ان البلدان المتحررة من قيود الاستعمار والامبريالية ، تبذل جهودا كبيرة لحل هذه المسائل .

لا يزال تحقيق مساواة المراة مع الرجل في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وكذلك النضال ضد تمييزها بكل ظواهره ، من الملح المهام الموضوعة امام الحركة العمالية والنقابية وكافة القوى التقدمية في البلدان البرجوازية .

— ٢ —

خلافا للظروف التي تعيش فيها المراة في العالم الراسمالي ، تعيش المراة في ظل الدولة الاشتراكية معيشة غنية المضمون تنفتح فيها امامها آفاق واسعة للعمل والابداع .

لقد اعلنت الدولة السوفييتية منذ قيامها وطبقت تشريعيا حقوق المراة المتساوية مع حقوق الرجال في الانتخاب الى جميع هيئات السلطة وانتخابها مثل الرجل الى النيابة وشغل اى منصب في الهيئات الحكومية والاقتصادية . ويطبق في الاتحاد السوفييتي مبدأ دفع الاجور المتساوية مقابل العمل المتساوي .

ان النضال الطويل والعسير في سبيل مساواة المراة كان قاسيا بوجه خاص في اطراف البلاد حيث كانت المراة في حالة عبودية حقيقية نتيجة بقاء التقاليد القديمة بما في ذلك الدينية ، وكان ظهور المراة الجديدة في مناطق الشرق السوفييتي من منجزات الحزب الشيوعي التاريخية ومكاسب النظام الاشتراكي العظيمة .

لا توجد في ظل الاشتراكية بل لا يمكن ان توجد طبقات تهتم بابقاء عدم مساواة المراة مع الرجل سياسيا واقتصاديا وبتمييزهن في مجال العمل فبفضل الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج يتساوى جميع اعضاء المجتمع في استخدامها ، ويتخذ العمل طابعا عاما . وان اشتراك المراة في عمل المجتمع هو شرط حاسم لوضعها المتساوي واستقلالها الاقتصادي وارتقائها الثقافي ونمو نشاطها المهني وقدرتها على الابداع كما انه يساعد على نضجها الوطني والسياسي . ولذلك لا تتصور المراة السوفييتية حياتها بدون اشتراكها في العمل والنشاط الاجتماعي اذ تجد فيه ما يلبي احتياجاتها المعنوية ويمكنها من الشعور ببهجة الابداع وهي تدرك واجبها الوطني ومسؤوليتها امام المجتمع كما انها وفية لمثل الشيوعية .

لقد سجلت النساء السوفييتيات في اعوام الحرب الوطنية العظمى صفحات مجيدة في تاريخ المآثر البطولية لشعبنا . ولن ينسى الشعب ابدا اعمالهن الباسلة في المؤخرة والجبهة . وقد اشاد الشعراء والرسامون والموسيقيون بالمراة السوفييتية كوطنية ومقاتلة وعاملة وام للجندي .

كانت بنات الوطن الاشتراكي الى جانب الرجال يتحملن بصبر كل المصاعب ولم يكن حينذاك من عمل كانت المراة تحسب انها عاجزة عن القيام به ؛ وكانت النساء في تلك الاعوام يؤلفن معظم العاملين في جميع فروع الاقتصاد الوطني .

ولم تقتصر مساهمة الوطنيات السوفييتيات على العمل في المؤخرة . بل كانت الكثيرات منهن يدافعن على الوطن العزيز في جبهة القتال . وقد بلغ عدد الفتيات والنساء في جميع صفوف القوات في ايام

الحرب اكثر من ٨٠٠ الف .

وقد قال الرفيق بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي تقديرا لمساهمة النساء في المعارك ضد الفاشية : اننا نحني رؤوسنا اجلالا امام النساء السوفييتيات اللواتي ابدين بسالة مدهشة في الحرب القاسية ولم تظهر نساؤنا السوفييتيات في اي وقت مضى من عظمة روحهن وصلابة ارادتهن ووفائهن واخلاصهن وحبهن للوطن وعنادهن في العمل وبطولتهن في الجبهة ما اظهرن في ايام الحرب .

منذ ثلاثين عاما والشعب السوفييتي يتمتع بثمار السلام ، وتتكاثر من سنة الى اخرى نجاحاتنا في البناء الشيوعي . وتسهم النساء بقسطهن الكبير في انجازات الشعب السوفييتي وانتصاراته البطولية وتؤلف النساء اللواتي يعملن في الاقتصاد او يدرسن بانقطاع عن العمل حوالي ٩٠٪ من مجموع النساء السوفييتيات الآن .

وتلعب النساء دورا هاما في جميع مجالات حياتنا ويؤلفن ٤٩٪ من العاملين في الصناعة و ٨٥٪ من العاملين في الصحة وهيئات الرياضة البدنية والضمان الاجتماعي ، و ٧٣٪ في التعليم والثقافة و ٤٩٪ في العلم والاعلام العلمي .

ويتيح التقدم العلمي التكنيكي توسيع حدود استخدام العمل النسائي في مختلف فروع الانتاج وتطرا تغيرات نوعية جبارة في عمل الفلاحات وعاملات المزارع التعاونية اللواتي تتفتح امامهن سبل للحصول على مهن ذات كفاءة . فقد اصبحت مئات الالوف من الفلاحات في الوقت الحاضر سائقات للجرارات والحاصدات الدارسات ويدرن احدث الآلات المعاصرة . ويمكن ان ترى النساء يدرن معامل الدواجن المكننة والمجمعات الصناعية للانتاج الحيواني . وتزداد نسبة النساء باستمرار بين خبراء الزراعة السوفييتية .

ومن سمات النظام الاجتماعي الاشتراكي الطبيعية ، اشتراك المراة المتزايد في ادارة الاقتصاد . فتشغل حوالي اربعة آلاف امراة مناصب مديري المؤسسات الصناعية وبترأس اكثر من مائتي الف امراة اقسام المصانع والمؤسسات والمختبرات وقس على ذلك . والى جانب مساواة المراة مع الرجل في جميع مجالات الحياة الاجتماعية تشترك العاملات في ادارة الدولة بنشاط . فبين نواب مجلس السوفييت الاعلى للاتحاد السوفييتي ٤٧٥ نائبة اي ثلث عدد النواب كلهم تقريبا .

وتلعب النساء دورا كبيرا في نشاط الحزب الشيوعي والنقابات وغيرها من المنظمات الاجتماعية فيزيد عدد النساء بين اعضاء الحزب الآن على ٣،٥ مليون امراة .

كما تؤلف النساء اللواتي يشغلن مناصب قيادية في النقابات ٤٣٪ من كوادر القيادة .

وبلادنا تحيط المراة الام بعناية واحترام كبيرين وتقدر مأثرة الامومة في بلادنا تقديرنا لمأثرة وطنية كبيرة . فقد منح اكثر من ١٣ مليون امراة من الامهات العديدات الاطفال اوسمة وميداليات سوفييتية لقاء تربية الاطفال . كما اطلق لقب « الام البطلة السامي » على ١٨٣ الف امراة . ومنحت ٣،٥ مليون امراة وسام « مجد الامومة » ومنحت اكثر من ٩،٥ مليون « ميداليات الامومة » .

يبذل الاتحاد السوفييتي كل ما في وسعه لخلق الظروف التي تمكن المراة من التوفيق بين العمل وشؤون العائلة وذلك لا على حساب وظيفتها كأم . وتحملت الدولة على عاتقها المسؤولية عن العناية بصحة الام والطفل .

ويجب ان نذكر في مقدمة الاجراءات الاجتماعية التي اخذت الحكومة السوفييتية تطبقها ، الاجازة المدفوعة في فترة الحمل والولادة وسلامة عمل المراة بوجه خاص وتطوير شبكة مؤسسات الاطفال قبل السن الدراسية وتقديم المساعدة الطبية مجانا .

ان النمط الجديد لحياة المراة في الاتحاد السوفييتي ودورها الجديد في المجتمع من اكثر الحجج اقناعا لصالح الاشتراكية .

لقد قالت اجيني كوتون رئيسة اتحاد النساء الدمقراطي العالمي في خطابها الذي القته في الاجتماع المنعقد بمناسبة عيد المراة العالمي في عام ١٩٦٧ ان وضع المراة السوفييتية قد اصبح مثالا عظيما لنساء كثير من البلدان في نضالهن من اجل حياة افضل . ثم مضت تقول ان الشعب السوفييتي يفتخر بنسائه . وليس من قبيل الصدف ان عيد المراة العالمي هو عيد رسمي في بلادكن وتعار له مثل هذه الاهمية الكبيرة . ان هذه سعادة لا يعرفها كثير منا ويغبطنكن عليها .

ان تجربة الاتحاد السوفييتي كانت ولا تزال تلهم ملايين النساء في البلدان الراسمالية وفي الدول الوطنية الفتية .

— ٣ —

تلعب الحركة النسائية الدمقراطية العالمية ، دورا هاما في ايقاظ المراة ورفع وعيها الاجتماعي والسياسي . وقد اعتبر لينين هذه الحركة جزءا من نضال الجماهير الثوري العام . وسجلت في تاريخ الحركة النسائية العالمية اسماء المناضلات البارزات مثل **ناديجدا كروبسكايا وكلارا تسيتكين وكولونتاي ويلينا ستاسوفا**

وايتيسا ارماند وغيرهن من رعيل النساء الثوريات والدمقراطيات .

وقد ظهرت بعد ثورة اكتوبر فصيلة جديدة من النساء المناضلات اللواتي سقلهن العمل على تذليل الصعوبات فى مجال تطوير الحركة النسائية من اجل الدفاع عن حقوق النساء والاطفال . وكانت الحركة تنمو وتتعزز فى المعارك ضد الفاشية وشكلت ممثلات المنظمات النسائية الجماهيرية اللواتي التفن حول راية النضال ضد هذا العدو اللدود للبشرية ، اتحادا دمقراطيا عالميا للنساء وذلك خلال مؤتمر النساء الذى عقد فى باريس عام ١٩٤٥ .

ومنذ ذلك الوقت يسير اتحاد النساء الدمقراطى العالمى فى طليعة الحركة النسائية التى اجتاحت فى ايامنا هذه جميع القارات . ويقوم الاتحاد باعتباره اكثر المنظمات النسائية الدولية جماهيرية بنشاطه بالتعاون الوثيق مع المنظمات النسائية الاخرى وكذلك منظمات الشباب والنقابات وحركات انصار السلام ذات الاتجاهات الفكرية والسياسية المختلفة . وقد ساهمت النساء السوفييتيات منذ البداية فى تكوين اتحاد النساء الدمقراطى العالمى مباشرة ولا يزلن يؤيدن خطه التقدمى المستمر .

لقد سجل المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ فى وثيقته الرئيسية : **(من المميزات الهامة لعصرنا اشتراك النساء جماهيريا فى النضال الطبقى وفى الحركة المعادية للامبريالية بما فى ذلك النضال من اجل السلام) .**

لقد اكدت الحياة صحة ذلك الاستنتاج . فبصرف النظر عن تنوع الظروف القومية والاقليمية التى تعيش فيها النساء ، يمثلن قوة كبيرة فى تحقيق مبادىء التعاون بين شعوب مختلف البلدان والقارات .

وان الانفراج الدولى الذى اخذ يتحقق نتيجة الاعمال النشيطة التى قام بها الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الشقيقة والقوى المحبة للسلام يفتح آفاقا جديدة لنضال الاوساط الاجتماعية من اجل نزع السلاح .

وتناضل النساء السوفييتيات اللواتي تربين بروح الاممية البروليتارية ، ضد الاعمال العدوانية الامبريالية بحزم ومن اجل السلام والامن العام ويقدمن كل انواع المعونة الى نساء البلدان الاخرى وتبدى النساء كل الاهتمام بأن تنفق تلك الاموال الهائلة التى تخصص للتسلح ، على اهداف سلمية ، ويخضن بحماس نضالا ضد زيادة مخزون الاسلحة الفتاكة ونشرها ، ومن اجل زيادة الثقة بين الشعوب وتثبيت مبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .



● فالنتينا نيكولايفا ـ تيرشكوفا ●

وتعبر نساء البلاد السوفييتية عن التضامن التام مع نضال شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ضد الامبريالية ومن اجل التحرر الوطنى وتعزيز الاستقلال السياسى وتحقيق الاستقلال الاقتصادي .

وتربط اواصر الصداقة والتعاون النساء السوفييتيات بنساء البلدان الاشتراكية الشقيقة ويقوم هذا التعاون على وحدة ايديولوجيتهن ومهام البناء الاشتراكى والشيوعى . ويجرى بينهن تبادل الخبرة والتجربة فى جميع مجالات الانتاج والعلم والثقافة . وكذلك المواضيع التى تهم النساء مثل زيادة دورهن فى حياة المجتمع وتحسين ظروف عملهن وحياتهن وتربية الجيل الناشىء .

• نبيه القاسم •

مع سحر خليفة في باكورتها الادبية :

لم نعد جواري لكم

واجهت الحركة الادبية فى الاراضي المحتلة بعد عام النكسة ١٩٦٧ ، تحديا ثقافيا بعد سلخ هذه الاراضي عن الوطن العربي الكبير ، وتطويقها بحراب قاتلة لا ترحم ، لكن هذا التحدي كان اخف بكثير من الذي واجهته البقية الباقية من شعبنا عام النكبة ، ١٩٤٨ ، وذلك لان الجسور المفتوحة ظلت قائمة ، والانظمة الاكثر انفتاحا فى الدول العربية ساهمت فى افساح اللقاء المادي والفكري الى حد ما بين الناس هنا وهناك . . .

وكما حمل الشعر عندنا لواء التحدي فى درب المسيرة الطويلة ، هكذا كان للشعر دوره فى الارض المحتلة . لكن الى جانب ذلك ، ولو جاء ذلك متاخرا ، ظهرت القصة القصيرة الواعية بقلم **محمود شقير** و **خليل السواحري** وغيرهما . وبعدها ظهرت الرواية الطويلة الهادفة والمقاتلة . وكانت رائدتها الكاتبة النابلسية **سحر خليفة** . التي اصدرت حتى الآن رواية (**لم نعد جواري لكم – ١٩٧٢**) ورواية (**الصبار – ١٩٧٦**) .

مدخل اولي :

من الصفحات الاولى للكتاب ، يضعك مقدم الرواية (الكاتب المصري **حلمي مراد**) امام الاحساس بانك ستقرا لكاتبة من الدرجة الاولى حيث يقول : (واستمتعت بها استمتاعا كاملا لا اذكر انني حظيت بمثله من رواية عربية ، باستثناء نماذج تعد على الاصابع ، من انتاج بعض ادبائنا الكبار الذين حرثوا هذا الحقل البكر وانبتوا فيه بذور هذا الفن الجديد على الادب العربي : فن الرواية .)

ويقول فى الصفحة نفسها من المقدمة على طريقة **طه حسين** : (واعترف انني قرات هذه الرواية خمس مرات . وفى كل مرة يزداد اعجابي بها ، وتذوقي لمواطن الجمال والابداع فيها) . ويتابع **حلمي مراد** كلامه ، معددا الاسباب التي جعلته يقول ما قال .

وحتى لا ننساق مع مقدم الرواية ، اعود الى الرواية نفسها لاعرضها . . وابرز مختلف نواحيها . . ثم لاعود بعد ذلك واقول الراي الذي اراه .

مضمون الرواية : –

تدور حوادث رواية (**لم نعد جواري لكم** – ٢٥٢ صفحة من القطع المتوسط – سلسلة إقرا – القاهرة ١٩٧٢) من الناحية الزمنية فى الفترة التي تلت عام النكبة ١٩٤٨ وسبقت عام نكسة ١٩٦٧ ، وبالتحديد فى السنوات الثلاث التي سبقت النكسة . اما المكان ، ففي الضفة الغربية . وفى مدن رام الله واريحا وبعض القرى ، ابطال الرواية ينتمون الى الفئة المتعلمة فى الضفة ، وربما يكون هذا الانتماء هو الذي جمعهم ، لان الكاتبة لم توضح فى روايتها مسببات اللقاء ، اللهم الا بالنسبة للبعض منهم . .

الشخصية المركزية فى الرواية هي سامية ، ارملة تجاوزت الاربعين من عمرها . كانت قد احبت فى شبابها رساما مثقفا ، وقضت معه اجمل ايامها . . لكن عمله السياسي ادى به الى السجن ويحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات ، الامر الذي دفع سامية الى اليأس والهرب الى امريكا مع ثري تزوجته قبل السفر . لكن هذا الزوج فشل فى تعويضها عن حبيبها البعيد ، وتشاء الصدف ان يموت زوجها ، فتقرر سامية العودة الى الوطن رغم معارضة اختها (نسرين) . وفى وطنها رام الله تفتتح مكتبة . وتعيش وهي تمضغ ذكرياتها وتندب حظها . ويحدث ان يقوم حبيبها (عبد الرحمن) الرسام الذي خرج من السجن وعاد لفنه ، بعرض رسومه فى مدينة اريحا ، وان تقوم (الشلة) – كل اصدقاء نسرين – بزيارة المعرض . وان يوافق عبد الرحمن على اقامة معرضه فى رام الله .

وفى مكتبة سامية التي وافقت على تخصيص جانب منها لاقامة ناد يؤمه الاصدقاء ، تلتقي عينا سامية بعيني عبد الرحمن لاول مرة بعد سنوات

اقطيعة والبعد .. لكنهما لا يتكلمان . وتتكرر اللقاءات ويزداد الصمت .. وتتعذب سامية ، ويتالم عبد الرحمن ، حتى كانت المناسبة التي واجه كل منهما صاحبه بمكنونات صدره .. وتعاتبا ، وبكيا ، وتعاهدا على الحب من جديد . لكن عبد الرحمن ظل متحفظا في علاقته ، ويشك في اخلاص سامية ، والسؤال القديم : لماذا تركته سامية وهو في اكثر الاوقات حاجة اليها ؟؟ يعذبه ، ولا يجد له جوابا مقنعا . وتعتقد سامية ان السعادة رجعت اليها .. وانها لن تواجه بغدر القدر كما حدث في الماضي .. لكن الذي حدث كان اسرع مما توقعت .

ولم يكن حظ سهى الرسامة السورية زميلة عبد الرحمن افضل من حظ سامية ، فقد احبت بشار الصيدلي الذي لا هم له الا تحقيق الزواج منها ، لكن سهى رفضت الزواج من بشار رغم حبها له ، لانها تقاسي من عقد نفسية ، فصورة والدها السكير وهو يضرب والدتها لا تزال تطاردها ، وتمثل لها المستقبل المتربص بها اذا ما تزوجت .. ثم صور البؤس والضياع التي لا تزال تذكرها من ايام طفولتها تخيفها ولا ترضاها لاطفالها .

ومثلها كانت ايفيت التي جاوزت الثلاثين من عمرها تعاني من واقعها المر ، حيث تزوجت من تاجر غني يكبرها سنا ولا تتفق معه ابدا لسطحيته وماديته ، فقد احبت ايفيت فاروقا الشاب المثقف ابن رجل السلطة الذي لا همّ له الا ابقاع الفتيات في حبائله وتكون النتيجة المحتمة صدمة ايفيت الكبيرة وتقبلها لواقعها الذي تكرهه مع زوجها شكري .

وهكذا كانت صدمة سميرة الشابة المتعلمة الواعية ابنة المخيم الفلسطيني التي تعلمت في الجامعة وعملت مدرسة في مدرسة للبنات ــ فقد آمنت بالرجل المثالي .. والواقع الجميل .. فساعدت حبيبها ابن عمها ربيع على اتمام دراسته في القاهرة ثم التخصص في لندن ، لكنه عاد اليها ليخبرها بانه احب فتاة انكليزية ويريد الزواج منها .

هذه الشخصيات المأساوية تعايشت مع بعضها البعض .. وقضت الاوقات الجميلة والتعيسة الى ان كان وحدث الذي لم يتوقعوه ..

فقد سافر الجميع الى قرية عبد الرحمن ، وهناك استقبلوا بفرح كبير .. واقيم احتفال كبير على شرفهم .. شارك فيه كل سكان القرية .. وانخرط افراد الشلة مع الآخرين .. وراحت سهى تتمايل وسط الحلقة .. والاكف تضرب بشدة والحناجر الاصيلة تنشد وتشجع .. الكل يحسدها على حيويتها وحركاتها الا واحد هو عبد الرحمن .. الذي يعرف ما يعتمل في نفسيتها ، خاصة وانها حدثته عن كل مأساتها ليلة جاءها ووجدها في حالة هستيرية تتعاطى الحشيش ..

فجأة انسحبت سهى من وسط الحلقة وراحت تركض في اتجاه البركة التي في أول البلدة .. وفزعت سامية ودفعت عبد الرحمن للحاق بسهى كي يحول بينها وبين الموت .. وركض عبد الرحمن .. وركض فاروق وتبعته ايفيت وشكري والجميع .

ويمسك عبد الرحمن بسهى قريبا من البركة ويمنعها من الموت .. لكنه يفاجأ عندما يسمع سهى تبوح له بحبها الشديد له .. ويفاجأ اكثر عندما يرى سامية بالقرب منه وتتهمه بالخيانة .. وقريبا من البركة ايضا تعترض ايفيت فاروقا وتعمل جاهدة على منعه عن اللحاق بسهى التي كان يتمنى لو ينالها .. ورغم ان طفلتها تعدو قريبا منها .. فقد نسيتها وانهمكت بالجدل مع فاروق .. ولم تنتبه الا وابنتها وسط البركة تصارع الموت .. وتصاب بالصرع وتصرخ .. ويجتمع كل سكان القرية ويندفع شكري الى البركة مستهينا بالموت لينقذ ابنته .. لكنه يخرج وهو يحمل بين يديه طفلته وهي جثة هامدة .. ويكبر الحزن في قلوب الجميع .. وتنهمر الدموع .. لكن سخرية القدر تأبى الا ان تصل الشرطة الى المكان وتعتقل عبد الرحمن بتهمة التسبب في موت الطفلة .. وفي السجن يواجه عبد الرحمن اليأس .. واكثر ما يشغله انقطاع اخبار حبيبته سامية عنه كليا .. لكنه يعرف الحقيقة من سميرة التي زارته في السجن ، الحقيقة المؤلمة بأن سامية قد تركته وسافرت الى امريكا .. تماما كما فعلت في المرة السابقة .. ويبتسم عبد الرحمن بحزن ويسأل سميرة الحزينة المواسية له : أسعيدة انت ؟؟ فتجيبه والالم يمزقها : وكيف يكون الانسان سعيدا وفي العالم كل هذا الخطأ ؟؟ ويلاحظ عبد الرحمن حزنها فيحاول تعزيتها وتشجيعها قائلا :

ــ انت عصفور في قفص وانا ان شئت غراب في قفص ..

فتضحك وتجيبه مشجعة بدورها : لست غرابا يا استاذ ، بل انت بلبل ..

ويفهم عبد الرحمن ، بحدس الفنان الرقيق ان سميرة تريد مواساته وطمأنته .. فيشد على يدها مشجعا :

ــ اذن فلنغرد معا .

البناء الهيكلي للرواية :

تقع الرواية في ٢٥٢ صفحة من الحجم المتوسط .

صدرتها بتعريفنا على شخصيات روايتها ، وقد اعتمدت الكاتبة **الاسلوب الكلاسيكي** المعروف للرواية الطويلة ، واختارت البوح والهمس والاندفاع الرومانسي للتعبير عن كثير من افكار واحاسيس ابطال روايتها .

كما ونجحت الكاتبة في التدرج حسب التسلسل الزمني المنطقي مع عودة في كثير من المواقف الى الوراء للاستعانة بالماضي البعيد في دفع الحوادث الحاضرة الى الامام ليكون التسلسل سليما والتدرج منطقيا ..

ترتكز الكاتبة في تطوير احداث روايتها على الرسم الدائري للاحداث .. متخذة من بعض الاحداث نقطة انطلاق للتشعب واللقاء بالاخرى ..

فمن البداية توقفنا الكاتبة امام الحدث الخطير الذي يربط الماضي بالحاضر ويدفع بالاحداث الى الامام حيث تعلمنا ان سامية كانت على علاقة حب بالفنان عبد الرحمن ، لكنها تركته ورحلت الى امريكا مع زوجها الثري اثر اعتقال عبد الرحمن وسجنه .. لماذا اعتقل عبد الرحمن ؟؟ هذا ما ستلمح اليه الكاتبة بضبابية شديدة خلال الاحداث المتداخلة الاتية ، اما الان فحسبها انها وضعت الحلقة الاولى من الدوائر ..

تنتقل بعد ذلك الى الحلقة الثانية حيث ترحل بنا الى اوربا مع كل شلة نسرين ثم تعود بنا ومعنا عبد الرحمن ليصادف سامية وليعيدا الحب القديم ..

تترك الكاتبة الحبيبين معا وتروح لتنسج باقي الحلقات الداخلية بفنية وعفوية .. مثل اللقاء الرومانسي الحار بين إيفيت وفاروق في الكتبة ، وبين بشار وسهى .. وبين عبد الرحمن وسهى ، ثم لتعود وتقفل الدائرة بالحلقة الاخيرة المشابهة للاولى حيث يسجن عبد الرحمن وتتركه سامية وترحل الى البعيد .

هكذا تنتقل الكاتبة بروايتها .. ضمن الدائرة المقفلة .. التي لا تختلف بدايتها عن نهايتها رغم الاحداث الجانبية الداخلية التي تقوم بعملية التخفيف من حدة المأساة .. وكأني بالكاتبة تريد ان تقول لنا : ـ هذه هي الحياة .. حلقة مقفلة لا نستطيع الفكاك من اسرها ..

او كأني بها تريد ان تصرخ في وجوه هذه الطبقة المتعلمة البرجوازية .. وفي وجه السلطة ، ـ هذه هي حياتكم التافهة .. تبدا بالخديعة والهرب .. وتنتهي بالخديعة والهرب ...

كذلك اختارت الكاتبة اسلوب المقابلة الجماعية والثنائية .. ففي المقابلة الجماعية ، نراها تضع الجنس اللطيف المتمثل في سامية ونسرين وإيفيت وسهى وسميرة في مقابل الجنس الخشن المتمثل في عبد الرحمن وبشار وفاروق وشكري ونزار وربيع مع كل ما تتميز به هذه الشخصية عن تلك ان كان سلبا او ايجابا .

وفي المقابلة الثنائية نراها تجمع بين النقيض ، واعتقد انها فعلت ذلك عمدا لتبرز تفاهة هذا الطرف او ذاك .. او لتشير الى سخافة الحياة وسخريتها حيث انها لا تجمع بين اثنين الا لتعذبهما اما الذين يسعدون بعضهم البعض فلا لقاء بينهما في الحياة .. واذا صدف والتقيا وتحابا ـ كما حدث لعبد الرحمن وسامية ـ فسرعان ما تحطم قلبيهما الحياة .. او عناصر الظلام على الارض ... وقد نجحت الكاتبة نجاحا عظيما في رسم هذه المقابلة الثنائية المساوية بين ابطالها .. والمتمثلة في لقاء : سهى وبشار ، إيفيت وشكري ، سميرة وربيع .

كما ويلمس القارىء من خلال مرافقته لابطال الرواية .. ان هنالك بعض الابطال الذين لا تتبدل صورتهم خلال احداث الرواية .. فيظلون محافظين على شكلهم مثل عبد الرحمن وسامية وفاروق ونسرين .. والى جانبهم الاخرون مثل سهى وسميرة وإيفيت وبشار يتنامون ويتضح معالمهم اكثر واكثر مع كل حدث جديد ..

اما بالنسبة للغة الكاتبة فقد اعتمدت اللغة الفصحى في حوار ابطالها .. وقد ساعدها في ذلك انهم كلهم ينتمون الى الطبقة المتعلمة التي لا تبدو اللغة الفصحى نشازا على افواههم .. كذلك اعتمدت كثيرا في رسم الصور والاحداث والافكار على المونولوج الداخلي واللغة الشاعرية ، كما ويعجب القارىء الواعي باهتمام الكاتبة في عرض بعض الآراء العلمية والفلسفية والفنية للتعبير عن ثقافة الاشخاص وآرائهم ، وهذه الثقافة ذكية وجيدة تعطي للرواية عمقا اكبر .. وتطرح امام القارىء قضايا يجد نفسه شريكا على الرغم منه في مناقشتها ، ومثل هذه الاستفاضة الذكية ظاهرة منتشرة في الادب الروائي وتبرز بشكل واضح عند نجيب محفوظ من كتابنا وعند كولن ولسن الكاتب الانكليزي المعروف .

سحر خليفة والالتزام :

يختلف الكثيرون في معنى التزام الاديب .. وكل اصحاب مدرسة ادبية يرون الالتزام الحقيقي التزامهم .. لا اقصد بكلامي هذا ان احدد مدى التزام الكاتبة بهذه المدرسة الادبية او تلك .. او تقييم

روايتها من خلال الواقع الذي تعيشه الكاتبة تحت نير الاحتلال الاسرائيلي للارض والشعب .. وانما اقيم مضمون الرواية بعد ان حددت هيكلها الخارجي من خلال نجاح الكاتبة في عرض الواقع الذي تناولته .

لقد وقف النقاد الذين تناولوا رواية (لم نعد جواري لكم) موقفين متناقضين .. الاول يرفع اصحابه من قيمة الرواية لدرجة وضعها في مقدمة الروايات الرائعة المعروفة لكبار الكتاب ، ومن هؤلاء ، مقدم الرواية الكاتب حلمي مراد والكاتب محمود سيف الدين الايراني الذي كتب بانفعال وتحيز والدفاع مادحا الرواية بارق الكلمات وواصفا اياها بلوحة فنية رائعة تبهرك بمجرد ان يماط عنها الستار وتصيبك بالذهول . (ملحق جريدة الراي الاردنية ٦\٤\٧٤) .

اما اصحاب الموقف الثاني ، فقد رفضوا الرواية كلية .. وشككوا بقدرة الكاتبة الفنية ومن هؤلاء الكاتب المصري كمال النجمي الذي كتب في مجلة المصور المصرية يقول بحدة قاتلة (فصرت اضرب في صفحات هذه المتاهة من الافكار الرومانتيكية الطفولية التي تزعمها صاحبتها (رواية) وتسميها **(لم نعد جواري لكم)** .. ويكتب الناشرون على امتداد غلافها (رواية طويلة من ادب الارض المحتلة) .. ويدين النجمي الكاتبة لانها كتبت روايتها تحت نير الاحتلال الاسرائيلي ولم تلمح بقليل او كثير لنضال الشعب المحتل .. ولدور المراة الطلائعي ضد المحتل .. وينهي النجمي كلامه الحاد القاسي بقوله (ويا ايتها الارض المحتلة ، كم من الروايات والقصص الطويلة والقصيرة ترتكب باسمك) .

ومثل النجمي ، ولكن بحدة اقل ، كانت كلمات الكاتبة امينة العدوان في كلمتها التي نشرتها في مجلة (افكار) الاردنية ..

والى جانب هذين الموقفين المتطرفين في تحيزهما — سلبا وايجابا — كان موقف الناقد **ابراهيم خليل** ، الحيادي والمنطقي في الوسط .. حيث اعطى للرواية حقها الادبي ، واخذ على الكاتبة بعض المآخذ الفنية والادبية والضموتية وقد نشر كلمته في مجلة (افكار) التي تصدر في عمان .

يبرز السؤال الطبيعي الان : وماذا مع الحقيقة ؟؟

صحيح ما قاله **كمال النجمي** من ان الكاتبة لم تلمح للاحتلال ابدا .. لكن النجمي تجاهل ان احداث القصة كلها تدور قبل عام النكسة الرهيب .. وليس من حق الناقد او غيره مطالبة كاتب ما تناسي الماضي والانخراط في الواقع الذي يعيشه فقط .. فالماضي هو العبء الذي لا يمكننا تجاهله ، خاصة وتركته كبيرة اوصلتنا الى النكبة والنكسة وايلول الاسود وحزيران وتشرين الاكثر سوادا ... وسحر صاحبة **(لم نعد جواري لكم)** التي هاجمها النجمي لانها تجاهلت واقع ارضها وشعبها المحتلين كانت سريعة في جوابها للنجمي وغيره بروايتها الرائعة الجديدة المصورة لواقع الاحتلال الاسرائيلي الشرس **(الصبار)** .

واستطيع ان اقرر ، ان **واقع الاحتلال الاسرائيلي** للارض والشعب الذي وجدت الكاتبة نفسها تعانيه ليل نهار جعلها تعود الى الماضي الذي اوصلها الى هذا الواقع الاليم .. فلولا خيبة الماضي .. وخيبة اهله لما احتلت البلد ولما اسر الشعب .. ولان الكاتبة كغيرها تعتبر ان الطبقة المتعلمة والمثقفة هي المسؤولة الاولى عن قيادة الجماهير الواسعة فقد ارادت ان تسلط الاضواء على هذه الطبقة لتكشف عيوبها وسلبياتها .. هذه الطبقة العفنة التي ادانها الكثيرون من كتابنا غير **سحر خليفة** وقبلها .. ان سحر تريد تجريد هذه الطبقة من ميزاتها المقتصة وتعريتها ، واثبات ان القيادة الحقيقية للجماهير لا يمكن ان تكون الا في يد الطبقة الكادحة الواعية ، الطبقة التي لا يمكن ان تخون القضية .. وهذا ما تقوله الكاتبة صراحة في روايتها الثانية **(الصبار)** .

لقد نجحت الكاتبة في التغلغل داخل هذه الطبقة البرجوازية التي كتبت عنها .. ولربما كان لانخراط الكاتبة في هذه الطبقة ومعايشتها عن قرب الفضل في نجاح الكاتبة الكبير ..

كما ابدعت الكاتبة في تشريح هذه الطبقة .. من خلال شخصية فاروق وإيفيت وشكري وسامية ، هذه الطبقة التي تؤمن بن الغاية تبرر الواسطة ، وتضع مصالحها التجارية والذاتية فوق كل المصالح حتى مصلحة الوطن .

لكن الى جانب هذه الشخصيات السلبية نجد شخصيات اكثر ايجابية تعود بجذورها الى الطبقات المسحوقة رغم انتمائها اليوم الى الطبقات البرجوازية .. وهذه متمثلة في عبد الرحمن وسميرة ونزار .. لكن الكاتبة لم تعط شخصية عبد الرحمن حقها في النمو والتبلور وابقتها باهتة خفية ، نتعاطف معها ثم نعود سريعا لندينها ، وكان يفضل لو اتاحت لها البروز والتنامي . اما سميرة ففي اعتقادي هي العنصر الاكثر ايجابية في القصة .. وهي تمثل شخصية الجيل المتعلم اذا ملك الشجاعة اكثر وتسلم القيادة وملك المبادرة يستطيع ان يفعل الكثير .. لكنه طالما ظل منخرطا بالمحيط العفن المكون من كل السلبيين الانتهازيين فلن يحقق شيئا .

لم نعد جـواري لكم :

ارادت الكاتبة سحر خليفة بهذه الصرخة ان تعلن عن تمرد المرأة على قيدها الطويل .. وخروجها لمواجهة الرجل ومطالبته بكل حقوقها .. فهي تخصص الكثير من الصفحات لعرض الآراء المختلفة . والنقاش الحاد . ويلمس القارىء انحياز الكاتبة الى جانب المرأة وتحررها . خاصة وقد تعمدت اظهار المواقف المهلهلة للرجل المثيرة للسخرية والقرف .. فبينما نجد سميرة الشخصية القوية التي تضحي بحياتها وسعادتها في سبيل اتمام خطيبها وحبيبها ربيع دراسته .. وتطرح الآراء القوية والمنطقية ، لا نجد في المقابل بين الرجال من يستطيع مجاراة سميرة في حججها وأسانيدها .. فالرجل كما اظهرته الكاتبة سحر لا ينظر الى المرأة الا كجسد جميل يلهو به .. او كآلة تفريخ وطاهية وخادمة منزل .. واعتقد ان الكاتبة الصديقة سحر قد ظلمت الرجل كثيرا .. فقد يكون رجل الطبقة البرجوازية العفنة التي وصفتها بهذه الافكار القبيحة .. وقد تكون المرأة في طبقتهم منسحقة الشخصية ، لا تتقن الا دور سيدة الصالونات ، ولا عمل لها الا اشباع الرجل وتفريخ الاولاد وتجهيز طعامه الفاخر .. لكنه من المستحيل ان نقبل ادانة الرجل الذي يعرف حق المرأة ويقدر دورها .. ذلك الرجل العادي الذي يحصد زرعه ويعمل في المصنع وفي الحقل الى جانب الايدي الناعمة التي عرفت كيف تخشن ومتى ..

ومما يؤسف له ان الصديقة سحر التي صرخت بحدة (لم نعد جواري لكم) عادت لتستسلم في النهاية وتعلن ان القدر هو الاقوى .. واعادت بطلاتها المتمردات الى حظائر اسيادهن الرجال .. او اوصلتهن الى المصير المأساوي والنهاية الدرامية القاتلة .. فإيفيت تعود لترضى بوقعها مع شكري ، وسامية تهرب من جديد لتلوك الحزن والدموع في الغربة ، وسهى تنتهي الى تعاطي الحشيش والانتحار البطيء ، ونسرين اللامبالية تظل لا مبالية حتى تصادف المجهول ، وسميرة لا تجد من يخفف حزنها بعد ترك ربيع لها الا عبد الرحمن الذي تزوره في السجن وتشاطره همومه ..

والسؤال الذي اوجهه للصديقة **سحر** : وماذا مع الصرخة العالية : لم نعد جواري لكم ؟؟ وهل حقا هذا هو مصير فتاتنا التي تشاطرنا همومنا وتسير معنا في مسيرة الحياة ؟؟

اعرف ان جواب الكاتبة سيكون : ابدا .. ليس هذا المصير الذي اريد .. بل تعالوا لنفرد معا .. ونبني المستقبل والآتي ..

« **فلنفرد معا** » هذا هو الاسم الذي وضعته سحر خليفة لروايتها ، لكن الناشر الكاتب **حلمي مراد** اراد عنوانا مثيرا فاختار (لم نعد جواري لكم) وليت الكاتبة رفضت اقتراحه .

صرخة الكاتبة الحقيقية :

كما وضحت اعلاه لم تكن عبارة **(لم نعد جواري لكم)** صرخة الكاتبة الحقيقية . وانما كلمات رنانة اختارها الكاتب حلمي مراد بهدف تجاري قبل كل شيء ..

اما صرختها ، او صرخاتها الحقيقية . فهي تعريتها لبنية هذه الطبقة البرجوازية المتعلمة العفنة ، وتعرية افكارها ونهجها وواقعها .. واظهار استحالة الاعتماد عليها في تسيير دفة الحياة ومواجهة الصعاب .. فهي طبقة مخادعة تافهة باهتة تمضغ الفلسفات حول الموائد ، مغرورة جوفاء عاجزة عن المبادرة ولا يؤمن جانبها ..

كذلك اهتمت الكاتبة في ادانة السلطة الحاكمة وجهاز ظلامها السري .. وكيف تقوم هذه الاجهزة بملاحقة الافراد .. وتعطيل المواهب ، وتفريغ الحياة من قيمتها .. ولعلنا نأخذ على الكاتبة بعض المآخذ لعدم التوسع في هذه الناحية ، وتشريح هذا الجهاز العفن الذي عمل السنوات الطويلة على افراغ الشخصية الذاتية من مضمونها .. فأن تكتفي باخبارنا بان عبد الرحمن اعتقل ، او ان الشمع الاحمر ختم باب النادي فقط فهذا لا نقبله رغم تفهمنا لظروف الكاتبة وقسوة اخطبوط الظلام في عمان .

تريد الكاتبة ادانة الواقع المر وتدميره وتبنيه من جديد على اسس واضحة وجادة ومدروسة لا خداع فيه ولا اخطبوط ظلام يعيق مسيرته .. وتريد ان تصرخ في وجه كل المزيفين قائلة بحدة :

ــ ما هذا ؟ ما هذا الخوف ؟ اهكذا يعيش المثقفون في هذه البلاد ..؟؟ اهذه هي الثقافة ؟؟ ان كان هذا ما يفعله هؤلاء ، فماذا يفعل الجهلة ؟؟ ماذا تفعل بقية الشعب (صفحة ٢٣٥) .

هذه هي صرخة الكاتبة العالية .. وهذه هي ادانتها الجريئة والقوية ..

تـأثرات خارجية ومـآخذ لنـا :

رغم الايجابيات العديدة التي ابرزتها اعلاه لا يسعني الا الوقوف عند بعض النقاط الجانبية التي قد يراها البعض سلبية او تدل على الضعف عند الكاتبة .. فالقارىء للرواية يشعر بتلك المواقف الفكرية المسيطرة على عقل الكاتبة .. والنظريات التي

يبدو ان الكاتبة تعتنقها .. فالكاتبة تبدو وجودية النزعة ، رومانسية في تعاملها فهي تقول على لسان سهى صفحة ١٦٤ (**الحزن هو الفاعل المولد للطاقة والحرارة . فلو كنت سعيدة لما أنتجت ، ولما فكرت ، ولما تحديت ، اذن فالحزن نار مقدسة ، تكوي لتصقل ، وتصهر لتنقي ، ثمن مجدي والوهية ذاتي**) .
وقولها صفحة ١٦٦ (**لا خلق الا عن طريق الالم .. عن طريق الحزن والوحدة ، ففي الحزن حل ، والحل هو الفن ، وهو الابداع . الحزن يجعلني أعيش حالة صراع دائم ، بين صراع الألم من حزني واللذة الدفينة التي يولدها الحزن في اعماقي : لذة الانتصار على نفسي ، لذة الشعور بأني بطلة وأني خارقة**) .

كما ويظهر تأثر الكاتبة باسلوب **نجيب محفوظ** في روايته (**ثرثرة فوق النيل**) ويبدو ذلك التأثر واضحا صفحة ١٧٢ . اضف الى ذلك عرض الكثير من الآراء الفلسفية والاجتماعية على طريقة كثير من الكتاب الجدد خاصة **نجيب محفوظ ويوسف ادريس وكولن ولسن** وغيرهم .

لا أوافق الذين يرون في هذه التأثرات عيوبا تدان عليها الكاتبة . لكنني لا استطيع الا تنبيه الكاتبة الصديقة الى بعض الهفوات والمآخذ التي وقعت فيها ومنها :

أ ـ اختيار اسم الرواية (**لم نعد جواري لكم**) لم يكن موافقا لمضمون الرواية .

ب ـ القصيدة التي وضعت في صدر الرواية كانت غير موفقة وهزيلة شكلا ومضمونا .. وقد متطدم القارىء بحدة .

ب ـ عدم اعطاء بعض الشخصيات حقها في النمو والوضوح الامر الذي ابقاها باهتة مثل شخصية عبد الرحمن ونسرين .

د ـ الاستغراق في التفصيلات والجزئيات يدفع القارىء الى الشعور بالملل في كثير من المواقف .

هـ ـ المواقف المفاجئة غير المقنعة ، مثل مشهد لقاء عبد الرحمن وسامية صفحة ١١٩ ، ومشهد المشاجرة بين شكري وإيفيت صفحة ١٢٧ ، مشهد الحوار بين معظم الشخصيات صفحة ١٣٥ ، مشهد لقاء عبد الرحمن وسهى صفحة ١٦٦ ، .

و ـ التعليقات الزائدة مثل : وكان صادقا **هنا** . وهو محق هنا ، وكان هنا اكثر كذبا من مسيلمة الكذاب نفسه . (صفحة ٨٧) .

الخلاصة :

تظل رواية (**لم نعد جواري لكم**) كما وضحت سابقا ، ورغم المآخذ الجانبية أعلاه ، دلالة اعتزاز وتشجيع وأمل للحركة الادبية في الارض المحتلة ، التي اثبتت لنا رغم قسوة الواقع وغربة الانسان في الحياة التي حرموه لذتها ، انها قوية الجذور وتتحدى المحال .. **وسحر خليفة** التي كتبت رواية (**لم نعد جواري لكم**) وبها اثبتت قدرة فتاتنا على المشاركة في دفع التيار الى الامام .. وهي نفسها التي اتحفتنا اخيرا بروايتها الرائعة الثانية (**الصبار**) التي سنلتقي بها في عدد قادم .

الرامة

● يحيى يخلف ●

المطار

قصة قصيرة

قاعة المسافرين تنغل بالناس ، وبين الفينة والاخرى تعلن الميكروفونات عن وصول أو انطلاق طائرة . وعند المقاعد تتكوم الحقائب والهدايا ، والاطفال العابثون يملأون ما بقي من فراغ بضجيجهم ولعبهم ..

ولا يتوقف الحمالون عن دفع عرباتهم ، كما يواصل عمال التنظيفات مسح الطاولات وتنظيف منافض السجائر .

وتلوح اسرة بكاملها الى ولدها الذي وصل لتوه ، و في الوقت نفسه تتعانق امرأتان : كهلة وصبية ، وهما تنشجان في موقف لا يعني شيئا بالنسبة لموظفي الجمارك .

اما الرجال ذوو البدلات الفاخرة ، ربطات العنق العريضة ، فهم يجلسون في داخل المقصف يحتسون البيرة المثلجة مع النساء اللواتي يصففن شعورهن جيدا ، ويترك أحمر الشفاه آثاره على اعقاب سجائرهن .

توقفت في الخارج سيارة زيتية اللون ، تقودها امرأة ذات شعر اشقر ، ووجه مغطى بمكياج دقيق يعلن عن الفئة التي تنتمي اليها .. والى جانبها فتاة شابة تشبهها الى درجة كبيرة ، وفي المقعد الخلفي ، يجلس فتى في سن المراهقة ، يتكوم فوق راسه شعر كثيف يسترسل حتى كتفيه ، فيما جلست الى جانبه امرأة تحمل طفلا في شهوره الاولى ، ويدل لباسها ومظهرها على انها خادمة .

فتحت المراة التي وراء المقود الباب ، ونزلت من السيارة ، ففعل الاخرون مثلها وانتظروها الى ان اغلقت الباب بالمفتاح ، ومشت فساروا وراءها .

وبقيت الوردة التي تثبت على الفستان - عند الخصر - تتفتح فوق صدرها .

شقت طريقها بين الناس ، يتبعها ركاب السيارة الفارهة ، ودخلت المقصف .. ولم يكن هناك سوى طاولة تكاد تغيب وسط حلقات دخان السجائر والتبغ ، جلست المراة .. جلست الفتاة ، وجلس الفتى وظلت الخادمة التي تحمل الطفل واقفة ، وعندما لم يدعها احد للجلوس ، انسلت خارجة ، وجلست على احد المقاعد في قاعة المسافرين وهي تحتضن الطفل ، فتحت المراة حقيبتها واخرجت علبة السجائر وناولت واحدة لشقيقتها . ونظر الفتى الى حلقات الدخان نظرة شرهة دون ان يجرؤ على طلب سيجارة واقبل النادل ، فطلبت المراة فنجان قهوة ، وطلبت الآنسة « نس كافيه » بالحليب ، وطلب الفتى عصير فواكه .

وقالت الآنسة بقلق : لقد تأخر سامي .. قال انه سيسبقنا الى المطار .

واعادت المراة علبة السجائر الى حقيبتها ، وقبل ان تغلقها نظرت في المرآة الى الظل الاخضر على جفنيها ، ثم تساءلت :

- الم يتلفن لك من عند الحلاق .

هزت الآنسة رأسها ، فأغلقت المراة الحقيبة ، وتناولت السيجارة من على المنفضة وقالت :

- اذن تأخر بسبب قص شعره .

واخذ الفتى يلتفت حواليه ، بانتظار فرصة للاءفلات .

***

في باحة الاستقبال يتسابق الاطفال ، ويتزحلقون على البلاط اللامع الصقيل ، وبعضهم يغافل موظفي الخطوط ، ويصعد الى الميزان .

ويضحك الطفل بين يدي الخادمة ، وتلمع عيناه بالفرح ، فتضمه الى صدرها ، وتمشي بتثاقل ، تتفرج على البائعات ، والصحف ، وزجاجات العطور ، وربطات العنق ، والحقائب الجلدية ، والسجائر الاجنبية .

ثم تقترب من زجاج النافذة العريضة ، تحدق عبر الزجاج بالطائرات الجاثمة ، وتلك التي تتزود بالوقود .

ويلمس الطفل باصابعه الطرية الزجاج ، وتظل تولد على ملامحه دفقة فرح .

ثم تعود .. تمشي بتثاقل ، تتعب يدها ؛ فتنقل الطفل الى الناحية الاخرى ويعاودها الاحساس بالمغص في خاصرتها اليسرى . فيخطر لها انه ربما اخذت المزيد من البرد في الليلة الماضية .

تجلس على المقعد الاسفنجي الفاخر ، تغوص فيه ، وتحط الطفل الى جانبها ، وتضع المصاصة في فمه .

غير بعيد ، عامل التنظيفات ينهمك في مسح البلاط ، وتفريغ منافض السجائر ، وثمة فتاتان في كامل اناقتهما تسيران ، ويسير الى جانبهما شابان يستمعان اليهما بشغف .. ومكبرات الصوت تتحدث عن اقلاع طائرة ، ورجل يحمل حقيبة يد ينظر الى ساعته ثم يهرول باتجاه قاعة المغادرين ، واحدى المضيفات تتبادل الغزل على المكشوف مع احد الملاحين بالقرب من موظفة الاستعلامات .

وفجأة سقط على الارض عامل التنظيفات ؛ سقط كما لو ان احدا ضربه بعصا على راسه ، فهرب الاطفال في فزع ، وتجمع حوله الناس ، ووجدت الخادمة نفسها محاصرة بالخوف ، فحملت الطفل وقد تسارعت دقات قلبها . ووقفت تتابع ما يجري بقلق .

لم يطلب احد حضور الاسعاف ، اذ سرعان ما انفض الزحام ، عندما وقف عامل التنظيفات وهو ينفض الغبار العالق بثيابه .. ثم حك راسه ، وطمأن الحضور ، وقال انه على ما يرام .

***

قالت الآنسة : لا يمكن .. سامي تأخر كثيرا .. انه يخدعني .

اجابت السيدة : سيأتي .. لا بد ان يأتي .

عادت الآنسة تقول : سوف تقلع الطائرة بعد ساعة ، فمتى يأتي ؟

واذ ذاك ، وقف الفتى ، وانسل خارجا من المقصف وقد بدا وجهه ضيقا وصغيرا تحت شعره الكثيف المسترسل حتى كتفيه .

زرع يديه في جيبي بنطلونه الضيق ، وبدا يتسكع .

اشترى علبة سجائر ، واشعل واحدة ، واخذ نفسا عميقا ، وانطلقت عيناه تتابعان البنات اللواتي يقفن عند مدخل الترانزيت ، ثم السائحة التي تقف بالقرب من موظفة الاستعلامات ، ثم المراة الارتيست التي تلبس باروكة شقراء ، وتطلي وجهها بمساحيق فاقعة ، وتلبس فستانا صارخا ، وتهم بدخول مركز الجوازات .

واشعل سجارة جديدة ، ثم وقف امام زجاج واجهة مخزن المبيعات يصلح شعره ويرتب ياقة قميصه المشجر . وعندما استدار لاحظ انه يلفت نظر موظفة الاستعلامات الشابة ، فاقترب منها وتظاهر بقراءة لوحة مواعيد الرحلات .. ثم استقرت عيناه على وجهها .

ابتسمت له ، وبادرته كما لو كان اصغر من ان تعترف بانه ند لمغازلتها .

وقالت :

— هل تسافر ؟

نفى واضاف :

— شقيقتي ستسافر لاكمال دراستها .

— الى اين

— الى اوروبا .. الى باريس .

وعند ذلك وقع بصره على المضيفة التي تضع عينيها في عيني الطيار الذي يبدو انيقا ووسيما كمارلون براندو . وتبتسم له ابتسامة ذات ايقاع وتنظر اليه نظرات وحشية ، ويحدق هو اليها من عل كما لو كان يراقصها التانغو الاخير ...

ولاحظت موظفة الاستعلامات استغراقه ، فابتسمت ، وتشاغلت بامور اخرى .

استدار الفتى ثانية ، وزرع يديه في جيبي البنطلون فيما كانت السيجارة تشتعل ببطء بين شفتيه .

***

جلس عامل التنظيفات قبالتها ، وجهه شاحب ، وعيناه يسكنهما التعب والارهاق ، وشعره الابيض القصير يعطي لونه الشاحب هدوءا وسكينة .

وبكى الطفل بين يديها ، فوقفت تهدهده ، وتربت على شعره ، الى ان اغمض عينيه وبدا يغفو .

— هل انت بخير ؟

قالت . فرفع عامل التنظيفات اليها عينين متعبتين ، وتمتم :

— بخير .

جلست على المقعد بحذر لكيلا يستيقظ الطفل ، وعندما استقرت واسندت ظهرها سألته :

— هل تشكو من مرض ؟

— اجل .

قال لها ، واضاف وهو يعتدل :

— مغص في الكلى .

فرفعت حاجبيها في دهشة وقالت :

— ان ذلك يحصل معي احيانا .

ثم اضافت :

— ماذا تأخذ من ادوية .

حاول ان يتذكر ثم اجاب :

لا اعرف اسم الدواء ؛ ولكنه مالح وكريه .

اسبلت بعض الشعرات التي كانت تطل من تحت

الشـال . وقـالت :

ــ ان قربـة مـاء ساخنة في المساء مفيدة في مثل هذه الاحوال .

وأجاب عامل التنظيفات :

ــ لقد وصفوا لي دواءاً شعبيـا ...

وخذ يتحدث باستفاضـة ...

وازدادت حلقات الدخان في المقصف كثـافة ، حتى لكان الجميع يجلسون في حمام تركي ، ولا يتوقف النادل عن الحركة ، وساقية البار تفتح زجاجات البيرة بشكل متواصـل ، ومنـافض السجـائر طفحت ، والضجيج والصخب يعلوان .

وقالت الآنسة بعصبية ونزق :

ــ لم يبق سوى نصف ساعة . الم اقل لك انه يخدعني ؟

ويبدو ان السيدة لم تتـأثر للدرجة الكافية ، فقالت الآنسة وهي تكتم الغيظ والغليان :

ــ لماذا لا تقولين شيئا .. لماذا ؟

فأجابت السيدة بهدوء ودون ان تبذل جهدا :

ــ الدراسة اهم من سامي .. ثم هو ليس من مستواك .

فانحنت الآنسة ودفنت راسها بين راحتيها ، واخذت تبكي بصمت .

وقالت السيدة كأنما تحدث نفسها :

ــ اين ذهب العفريت .. اين ذهب ؟

كان العفريت لا يزال يزرع يديـه في جيبي البنطلون ، وتحت انفه سيجارة تحترق ببطء ، ويحوم حول موظفة الاستعلامات ، ولا يبعد عينيه عن المضيفة والملاح الذي يترك قبعته تنزل حتى تحجب عينيه .

. . . . .

. . . واضاف عامل التنظيفات : ابني تزوج هذا العام وانجب لي حفيدا .

وابتسمت الخادمة ، وقالت : ــ ابنتي تزوجت منذ عام ونصف العام ورزقها الله توءمين .

وتساءل عامل التنظيفات (وكان يبدو جليا ان لونـه يستعيـد صفـاءه ، وانـه يتنفس بشيء من الحيويـة) :

ــ اهمـا ذكـران ؟

ــ انهمـا ولـد وبنت .

ثم صمتت قليلا كالحالمة ، واضـافت :

ــ الولد اسمه عـامر والبنت عـائدة .

ثم ضحكت ، كأنما تغترف السرور من الاعماق ، وقـالت :

ــ تصـور .. انهمـا ينامـان في وقت واحـد ، ويستيقظان في وقت واحـد . واذا بكى احدهمـا بكى الاخر ، واذا ضحك احدهما ضحك الاخر .

وابتسم الرجل وقـال بوجـه يطفح بالحنـان والعذوبـة :

ــ امس ، كانت زوجـة إبني ترضـع الطفل ، عندما احست بسنه يصطـدم بالحلمة .. انـه أول اسنانه .. يومها كانت فرحة كبيرة .

وتوقف الفتى الذي ظـل يدخـن سيجارته بموضوعية ، وهز كتفيـه ، وقـال مخاطبـا الخادمة باستعـلاء :

الم تسمعي .. انهم ينـادون ركـاب الطـائرة المسافرة الى باريس .. هيـا .

انقبضت ملامحها ، ونظرت الى عامل التنظيفات الذي هز راسه للفتى محييا ، وقـالت وهي تقف ، وتترفق في نقل الطفل من ذراع الى اخرى :

ــ اني ذاهبة .. خليتك بالصحة والعافية .

وابتسـم بوهن ، وقـال بصوت لا يخـلو من الاشفـاق :

ــ وانـا سأذهب .. لقد حان موعد انصرافي .

اطفـا الفتى سيجارته ، ومشى امامها مرسلا غمزاتـه الى موظفـة الاستعلامات ، ومشت خلفه ، وعندما تلفتت خلفها شاهدت عامل التنظيفات يتحامل على نفسـه ويقف ..

امـام قاعة المغادرين حدثت طقوس سريعة .

اقبلت السيـدة والآنسـة .

ملامح السـدة صلبة وجامدة ، ولا حركـة في تقـاطيعهـا .

ووجه الآنسـة محتقن ، وعيناها محمرتان من البكـاء .

قبلت الآنسة الطفل النائم بين ذراعي الخادمة ، ثم قبلت الفتى الذي اعلن عن تأثره بالاطراق ، وعندما وصلت الى السيدة ، انفجرت بالبكـاء ، فضمتهـا السيدة الى صدرها وربتت على كتفيها .. ثم دخلت الآنسة قاعة المسافرين ، ولوحت بذراعيها لهم ، ولوحوا بأذرعهم اليهـا .

وانتهى الامر بعودة السيدة والفتى والخـادمة والطفل الى السيارة الزيتية ، فحصل تغيير طفيف فقط ، اذ جلس الفتى في المقدمة ، وجلست الخادمة في المقعد الخلفي .

ادارت السيـدة محرك السيـارة ، وتركت الماسحتين تمسحان الرذاذ المتساقط على الزجاج .

ومن بعـد ، ظهر عامل التنظيفات ، يلبس معطفا ، ويلف راسـه بكوفية مرقطة ، يقف تحت المظلة ، ينتظر الباص ، ويحمل في يده ما يشبه الزوادة ..

مشت السيـارة ، وظلت الماسحتان تزيحان قطرات الرذاذ ، وظل الصمت ثقيلا كالحديد ، وظلت ملامح السيدة مغلقة .

● نبيـل عودة ●

المقاتل والدبابة

قصـــة

توقفت الايـــام قبل لحظة عن ولوج النسيان . كانت ذراعه تخفق بالحقد والحياة . وصوت الانفجارات يزيده اقترابا من المجـــد ... كنت تستطيع ان ترى بريق عينيه من خلف الفوهة وهي تبصق نيرانها .

ـ انتهى موسم الصمت ، وها انا انتفض كالبركان .. خذوا يا انذال .. !

كان يؤمن بكلمة الحق ، فصار يؤمن بطلقـــة الموت . هذه المعادلة ترسخت في ذهنه خلال تجارب السنة الماضية .

قد يقال ان موقفه جاء متاخرا ، ولكن ان يكون متاخرا افضل من لا يكون إطلاقا . كان يود ان يصرخ باعلى صوته مع الرصاصات المنطلقة . عسى أن يرعد صوته في آذان الحشاشين ، اذ لا بد ان صوته اقوى من صوت الرصاص ... وتلك الحيوانات الميكانيكية المدرعـــة لا يرهبها رصاصه ... !! يود لو يفسخها باسنانه .

ـ اقتربوا ... اقتربوا ... انا هنـا ! .

ويرفق افكاره بصلية نارية . كان يعلم تمام العلم ان الكلاشنيكوف لا يحل معضلة الدبابـة . للحظات يشعر بالاسى لضياع دبابة كهذه ... ولكن الهدف تغير مرحليا . كانت رصاصاته كالطعم للديناصور الحديدي .. فقط خمسون مترا اخرى . الضجيج والغبـــار والنار . الحقد والعزم والجراة ... كلها كلمات ، الا انها تتحد في لحظة معينة ، داخل قنينة معباة بالبنزين والزيت ، ومطبوعة بقبلة مقاتـــل ، ترسل جياشة بعواطف الحقد ، نحو صدر الدبابة ...

لم يعد يعي لاحد حوله . لا شيء الا الضجيج ، وخيال طفلة صغيرة يذبحها وغد بخنجر . هدية الاطفال للكبار ... الحقد المجنون . صليـــة أخرى ونفسية شرسة تتفجر من ورائها . كأنه يقذف بآلام نفســه في عيونهم .

ـ « اعبري ايتهـا اللحظات ...

وتدفقي نحو البحر .

لتعصف بك الامواج ...

وياخذك التيار نحو القعر . »

فقط ثلاثون مترا اخرى ... ويرسل قنينة الحقد المطبوعة بقبلته نحو صدر الدبابة .

ـ تلاشي ايتهـا الامتار

وخذي كل عمري ...

تلاشي بسرعة ، فقط !

تنادي طفلتك فترد عليك الانفجارات ... تجعل صوتك اعلى ، فيناديك حقدك بصوت اعلى ...

ـ عشرون مترا اخر ...

خذوا ...

صلية وراء اخرى .. وبريق عينيه يصليهم حقدا اقوى .

بدون صغيرته يتآكل . لم يستوعب بعد انه فقدها الى الابـد ...

كانت « عطر » إبنـــة سنة فقط ... فلماذا ذبحت ؟ لم تتكلم بعد ، وتتعلم المشي ، فكيف استطاعت ان تتحمل آلام الذبح ؟ كانت تحب كل من يداعبها . ولا تعرف شيئا عن الحقد . ولم تؤذ في حياتها حشرة . فلماذا سفك دمها بهمجية ؟ .

ـ « إرجعي لي يا « عطر » فلسطين

يا مذبوحة ...

يا حبيبتي .

إرجعي لي كما تعود الطيور المهاجرة

الى اوطانهـا .

.....

خـذوا ... » .

يهتز الكلاشنيكوف في ذراعه متشرسا . يود لو يكمش الدبابة بقبضته ويعصرها بمن فيها بين اصابعه. بقي سنة كاملة مترددا . كان مهندسا معماريا ، يبدو من فوق حياديا ، ولكن عواطفـــه ونقوده تعرف

عنوانها الصحيح . لم يفكر ان يحمل السلاح ليقاتل . له زوجة رقيقة لدرجة كان يهيا له انها لا تحتمل سماع صوت تحطم زجاجة عادية . لا يعي شيئا عن النكبة . فقد ولد بعدها لعائلة ميسورة الحـال ، لم يطلها التشرد . كان وطنيا بعواطفه. ولم يفكر اطلاقا ان يحدد موقفه . لم يكن هناك دافع ذاتي لذلك . كان يؤيد كل الحركات ما دامت تحمل إسم فلسطين ... صحيح ان اخاه الصغير ، كان مندفعا اكثر منه وحمل السلاح بعد هزيمة العرب في حزيران المشؤوم ، وذبح في عمان . وصحيح ان ذلك اعطى بعداً لوطنيته ، اذ جعله اكثر إلتزاما بالتبرع والدفاع السياسي ، ولكن لم يعلْ في ذهنه ان يطول سكين الذبح ، عنق طفلته الصغيرة !؟ ان تصيب المأساة حصته . حتى زوجته الرقيقة حملت السلاح ، وعسكرت في الخط الثاني ...

لا . لم يعد معنى لحياته ما دام شعبه يذبح . لم يعد معنى لحياته ما دام شعبه بلا وطن . الآن فقط بدأ يفهم حقيقة شعب بلا ارض . بلا شرعية . كان يجب أن يفهم ذلك قبل قتل طفلته . الم يذبح مئات الأطفال ؟ الم يذبح شعب بأكمله في عمـان ؟ الم تتناثر أشلاء الأطفال من انفجارات قنابل الفانتومات فوق معسكرات الفلسطينيين ؟ . لم يفكر يوما بفلسطينيته كما يفكر الآن .

خمسة عشر مترا ويصبح الهدف في متناول الزجاجة الحارقة ...

ـ « خذوا ... » .

تندفع رصاصة نحو الدبابة ...

ـ « انا بدون « عطر » أذوي
انا بدونها ...
كالنسمة الجافة
لا تريد حتى نفسها . »

إطلاقا ، لا يفكر بالموت ، يفكر بزوجته ، وبوطنه وبيته القادم . ولكن الأحق ان نقول انه لا يطيق حياته ما دام ثمة من يحول دون شعب الاضاحي وحصوله على شرعيته . لأول مرة يؤمن بالبندقية ، ولدرجة هستيرية . ماذا اكثر من الموت ؟ ماذا اكثر من رقم جديد يضاف لآلاف مذبوحي النكبة والاعتداءات المتكررة منذ النكبة مرورا بأيلول وتل الزعتر والمخيمات الاخرى وغيرها ... ؟

كان يقف على الرصيف فذبحت « عطر » بين انقاض بيروت ... لو حمل السلاح وقاتل لبقيت ابنته حتى اليوم تضحك وتتعلم المشي والحكي ، وتعطي لحياته رونقا انسانيا يربطه اكثر بضرورة مواصلة الحياة ، وليس القتل فقط ...

الم يضطر اخيرا للقتال ؟!

تلك حقيقة لا جدال فيها . لماذا تأخر في اختيار الطريق الوحيدة المفتوحة امام شعب اللاجئين ؟

ان افكاره ، احيانا ، تنطلق أسرع من الرصاص. الدبابة باتت على مسافة خمسة عشر مترا .. يصليها بصلية اخرى ... كأنه يصيح فيهم انا هنا ... تعالوا إلي . والزجاجات في متناول يده ...

ـ « يـا « عطر » ...

ها انا انتفض كالبركان
فخذيني يا صغيرتي بين ذراعيك الباردتين .
لأعطيك من حرارتي حياة
خذيني لونا لوجهك الطفولي المدمى .
وعطراً لشعراتك المحروقة . »

عشرة امتار وينتهي الديناصور الحديدي . لم يعـد يرى إلا الوحش الميكانيكي المتحرك من خلف الصخرة ... هو ايضا مدرع بالطبيعة .. ومئات المقاتلين منتشرون .. ولكنه يعرف تماما ان الدبابة له .. إنه يرسل لها الطعم وراء الطعم . عشرة امتار فقط !

يحب زوجته كثيرا . لقد ازداد حبه لها عندما حملت السلاح . تلك الفلسطينية الرقيقة ، كانت اقدر من رجلها وكانت البادئة .. وخيرته بين الانفصال او القتال ...

ـ « لا خيار امام الفلسطيني » .

وضمها لصدره هي وبندقيتها ، وبكيا طفلتهما لآخر مرة .

وبعدها الى الجبل . الى قلب الاحداث .

كانت في المؤخرة ، او الخط الثاني كما يسميه المقاتلون هنا ، وامس فقط ارسل لها رسالة قصيرة .. كلمات مبعثرة لم يجد غيرها في ذهنه ، كتبها على ورقة محروقة الاطراف وجدها صدفة ...

ـ « زوجتي الرائعة ... التي لم انسها للحظة .
ما زلت تتوهجين في عيني
ابعادا ورؤيـا .
وتسرين في دمي كالنـار .
وتخفقين في قلبي
حبا وقوة وحيـاة .
فانت بعد « عطر » ...
« عطر » .
كوني قويـة
ولنحلم بعيدين عن بعض
بالحيـاة .
وبعطر الثانيـة ،
وإخوتهـا ...

حبيبتي . قد بدأ الهجوم في كل لحظـــة . لا تقلقي عليَّ .

اقبلك . »

وقد بدأ الهجوم .

كان الانتظار صعبا . رهيبا . اما الان فلا يعرف سببا للرهبة التي اعترته في اثناء انتظار الهجوم . هذا ما كان يريده .. بل هذا ما تشوق لـــه ! تدرب على القتال أسبوعا واحدا ، ويشعر الآن انه يقاتل منـــذ سنوات . انه يقاتل بالسليقة ، ولا يعرف اذا كـــانت حقيقة كونـــه فلسطينيا سببا لذلك ؟ فقط ان شيئا واحدا يأكله . لماذا لم يحمل السلاح من البداية ؟ ولا يجد جوابا لهذا السؤال . هل كان من الضروري ان يواجه مأساتـــــه الخاصة ليقف مع شعبه ؟ الم تكن المأساة محتملة في كل لحظة ؟

حسنـا . هذا يستطيع ان يفكر به فيما بعد . ان امامه الآن هدفا صار في متناول اليد .. امتار اخرى وتنتهي المعضلة ...

ـ « إضرب ... »

يصرخ نحوه زميل من الخلف :

ـ « اتركوها لي ! »

يزأر بشراسة . والرصـــاص يصرخ والتراب والدخان والحرائق .. والانفجارات والصراخ البشري .. والدماء .. الكلاشنيكوف يرتعش في ذراعه مـــع الطلقات .

ـ « اقتربي ايتهـــا الحيوانة ... »

اخذ القنبلة بقبضته وتوهج الفرح في صدره ... صارت قاب قوسين . لن يضرب إلا في الهدف .

ـ « إقتربي ... »

وفجأة . كان كل شيء واضحا . القتال لا يقبل التردد . والاصابة مضمونة . اشعل الســــدادة ، ومغط ذراعه بالقنبلة الى الخلف بكل قوة ... وصرخ :

ـ « خذوها من « عطر » ... »

وارسلها قوية نحو صدر الدبابة ، هدفا محكما غير متردد ، فتوهجت الدبابة بالنيران . وارتعد الجو بانفجار ضخم .. واخذ المقاتلون يتنشقون رائحـــة اللحم المشوي . والحرائق والغبـــار . وتهاليل الفرح والشراسة تعلو على صوت الانفجارات برعـــد اقوى واطغى .. يجدد الاندفاع والرغبة في القتال .

ومن البعيد ، لاحت دبابة اخرى . فقفز المقاتلون خطوات لمواجهتها في نقطة ابعد نحو الامـــام ، إلا صائد الدبابة . فقد شجت راسه شظية حديدية من الدبابـــة المتفجرة ... !

نبيل عودة
شيراز ـ إيران



❋ اقوى من العاصفة ❋

لوحـة من

الرسام مروان ابو الهيجا

(طمرة)

* ادمون شحـــادة *

الجمر .. والميلاد

أتلظى فى الجمر الرابض فى الاعماق ،
.. أرقص حـــول المصلـــوب ...
أغنى أيامـــا لى ولكـــم ،
ملء التاريخ .. بعرض الآفاق ...
زهـــوت بنفسى وبكـــم ،
لكن خطايـــا الاباء الجوف ..
تتنـــامى فى عينى ..
رمادا للحـــب المحروق
من سيرة عنترة الشداد
مرورا بخيام الطين المنتشرة
فى عرض الصحراء .. وبين عواصمنا الغراء
وأعانق وهما .. يهرب نحو الفجر ...
يلـــف يـــدور ...
ضبابـــا أحسبه المعشـــوق .
يـــا هـــذا الوطن المشنـــوق
أمـــلا امنحنى
خصلة شعر مـــن رأسك ،
مهـــرا عربيـــا ،
وســوارا حول المعصم ذكرى المـــد
لا تنسى حبات الرمـــل ...

دروب الغربة والترحـــال ،
فسنون التيه على صدرى ، جثمت
جبلا مشحونا بالآهـــات ،
ومخاض الام .. هباء يتمخض بهباء ،
يا هـــذا الوطن أما حانت أيـــام الوضع ...
وساعة ميلاد الاطفال ...
أزهار الحب .. ثمار الزيتون الخضراء ؟

**

أتداخل فى عطر الازهـــار
حبيبا مثـــل ضيـــاء الشمس ...
رواقا أزليـــا ،
وحنينى بين ضلوعى نـــار
عبرت كل حـــدود العشـــق ...
منـــار يصرخ فى وجه ... المـــدن ...
الليل ... قطارات الفجر ... الامطار ،
يا هـــذا الامل ... الوطن ..
مسارى وثبة جنى مارد
فألام مخاض الأم
ودربى جمر متوقد ؟

(النـــاصرة)

العودة الى كربلاء

للشاعر الفلسطينى :

أحمـــد دحبور

آت ، ويسبقنى هواى
آت ، وتسبقنى يداى
آت على عطشى ، وفى زوادتى تمر النخيل
فليخرج الماء الدفين الى ، وليكن الدليل
يا كربلاء تلمسى وجهى بمائك
تكشفى عطش القتيل
وترى على جرح الجبين أمانة تملى خطاى
وترى خطـــاى
قيل : الوصول اليك معجزة

وقيل : الارض مغلقة ،
وقيـــل
وذكرت انك لى ، وان الكون يأكل من ثمارك ما
عداى

فأتيت يسبقنى هـــواى

***

لا تسالى وجهى الجديد عن الاحبة
كانوا رعاة — بالثياب — وكانت الاسرار ذئبه
كنا تبايعنا على موت يقيلك من عذاب الموت .
فى الاسر الطويل
فتقاسموا تمر النخيل ولم يمت أحد سواى
شاهدتهم ، ومعى شهودى
أنـــت ،

والماء الذى يغدو دمـــا ،
ودم لديهم صار ماء ، والنخيل
شاهدتهم — عين المخيم فى لا تخطى —
وكانوا ، تاجرا
ومقامرا ،
ومقنعا ...

كانوا دنانير الدخيل .
ودخلت فى موتى وحيدا أستحيل
وطنا . فمذبحة ، فغربـــة
وأتيت تسبقنى يداى
يا كربلاء تعز فى النار ، أذكر كيف تنقلب الوجوه
عرفوا الغريم وأمسكوه
ويقال : كان يخب فى لحمى ويشرب من دماى
غضبوا عليه طوال ساعات احتضارى ،
ثم مت فتوجـــوه
وتبادلوا رأسى ، فلم يركب على عنق ،
وعاد الى بالجرح النبيل
وأعود ،

لن يتصدروا باسمى ،
فجرحى جاء ينكرهم ،
وتنكر ما استباحوا مقلتاى

واذا حسبت حسبتهم فى صف غاصبك الدخيل
يا كربلاء الذبح ، والفرح المبيت ، والمخيـم ، والمحبـة

***

كل الوجوه تكشفت كل الوجوه
ورأيت . كان السيف فى كفى ،
وكنت لنظرة الفقراء كعبة
ورأيت من باعـوك ،
باعونا معـا ،
وتقاسمونا ، فى المزاد ، فما انقسمنا ،
كنت فيـك النهر .
والتحمت بعشبك ضفتاى
وقتلت فيك ــ كما رأيت ــ أنا هو النهر القتيل
فليخرج الماء الدفين الى وليكن الدليل

***

يا كربلاء وأنت جارحة وصعبه
آتيك بالفرح الجرىء ، وما حسبت الحرب لعبه
آت ولو كره السعاة الى الخيول ،
بـلا فـوارس ،
والسيوف بلا صليل
أودعتهم موتى وأرخت الحياة لكل جيل
هذا زمان يكبر الفقراء فيه فيقتلون ويقتلون
هذا زمان للبطولة ،
أو ــ لمن شاء ــ الجنون
هذا زمانى ، فاشهدى ــ
جسدى يرد اليك حربـه
ولديك ذاكرتى افتحيها تغلقى زمن العويل :
ليس الوصول اليك ــ معجزة ،
وكنت خطوت فانهدم الجدار المستحيل
وظهرت فاتسعت خطـاى
وأنا هنا ، فرحى معى ، ومعى الهدايا ، والشجون
آت ويسبقنى هواى
آت وتسبقنى يداى
آت على عطشى وفى زوادتى تمر النخيل
فليخرج الماء الدفين الى ، وليكن الدليل ..

من كـلام الرسول العربي :

※ عن ابن هريرة عن الرسول العربى الكـريم ، قال : آيـة المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خـان !

※ وقال : انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد !

قصيدتـان من العراق

في إنتظار السيدة القادمة

حسين مهاوي

(١)

مرة واحدة
تعرت على شاطىء القلب ، ثم اختفت
تركت نجمة صاعدة
مرة واحدة
ناولتنى يــدا
وأبقت يدا فى السما الراعـــدة
وها أنا ذا ابتنى كل يوم
وطنا للنجوم

(٢)

وأنتظر الطفلة الواعدة
لماذا يقولون أن يديها حجر
وقد منحتنى يـــدا
اذا جئتها تستحيـــل
وطنـــا للنخيـــل
لماذا يقولون أن الوصول اليهـــا
الوصول الى نجمة الظهـــر
وهى التى علمتنى الصعـــود
على جبل المستحيل

(٣)

فى مدن الثلج
صارت تجيد غناء البلابل
وصارت عروسا تغازل

(٤)

ستأتين حتما
ستأتين سيـــدتى
أنت منى الشواطىء للنهـــر
أمس التقيتك فى المدن الراقدة
ساحرة ترتدى الشجر الاستوائى ثوبـــا
وتطعم أبناءها الالف فاكهة النار .
هل كنت غير التى عبرت مرة
فى شوارع باريس ، ثم اختفت .
تركت جمرة خالدة

ألبشارة

عبد الرزاق مبارك

وفى ساحة الصبح
حيث التقيت بلون يدى
والاكف التى لامست عريها الصبـــح
كانت حمامات زهر تطير
بزهو تطير بصدرى

واخرى تحط على الراحتين
خالد يا نداء الطيور
خالد يا رفيق الحمامات فى الصدر والمقلتين

* *

يعانقنى حاجباك
البشائر والفقر
يدوران بى عند سفح التطلع
صوب العيون التى تستحم
الاشعة عند افتراش الحقيقة
تدرين ؟
كانت يداك تشيلان خبزا
وكنت اغتسلت معى بالعتاب
فواجهنا عند ذبح المسافة حبر اليدين
عبرنا معا
والمواويل نائمة فى الظهيرة
صرنا معا موجة من أمــل

* *

هو الصيف بوابة للشتاء
وذاكرة للثياب التى يلبس البرد آمالها
وعند ارتشاف الشوارع همس التلفت
تبدين كالفرحة المشتهاة
تمدين فاســـا
وتهدين كأسا
تقولين لى
ان لون العناقيد ، باب التواريخ
لن يستباح

فكن سيدا لتراب الوطـــن
تعلم من الشارع الامنيــات
تعلم من الفقر آن الصراع يوالف بين
الحيــاة
وبين الشهادة
تعلم من العشب الامتداد
تعلم من النهر كيف يطول الخليج
تعلم من الطير حلو الرفيف
من الطفل صبر الفطام
تعلم من الشمس اشراقتـــين
لنفسك والناس .
تعلم وعلم صغار الوطن .

* *

تباركت يا « زخة » الصوت
حيث افترشناك لحنا
يطوف على ظله الوافدون ...
فينــــدى
ويأكل من خبزه الجائعون
نداء السلامة
يلملم من نبعه الظامئون ، حروفا
هى المولد المستضاف
حروفا تشـــير :
الى النبع مروا
وقد كنت تدرين
أنا شربنا مرارا ولم نبتــرد
ولكننا ما نسينا الطريق
لان العلاقات تبقى ..

السرطان : الدواء في داخلنا

ايلينورا جوربانوفا

● **اين يجب البحث عن سبب السرطان ؟ لماذا تكمن المخاطرة الكبيرة للاصابة بالسرطان فى الكهولة؟ كيف يمكن علاج الخلية السرطانية ، اى المصابة بالسرطان ؟** على هذه الاسئلة ومن موقع جديد يجيب هنا العالم السوفييتى لازار **ميكلير** صاحب احدى النظريات الاصيلة فى مصدر الاصابة بالسرطان .

« كثيرا ما ننظر الى اين يمضى الدخان ، بدلا من البحث عن مصدر هبوب الريح » .

انا اعتقد — **قال لازار ميكلير** — ان قول **كارل تشابيك** هذا يعكس بدقة متناهية الموقف الذى كونته العلوم الحديثة عن السرطان على الرغم من انه لا يمت بصلة للاورام .

لقد اتجهت جهود علماء العالم على مدى عشرات السنين نحو دراسة خلية السرطان التى ظهرت . ونحو البحث عن اسباب ظهور الورم الخبيث . وكلما اتسعت جبهة الابحاث كشف النقاب عن اعداد كبيرة من مسبباته الخطيرة . واخصائيو الاورام مضطرون للاعتراف اليوم بانه يمكن ان تؤدى امور كثيرة للغاية ، من المثيرات السرطانية والفيروسات وحتى الاصابات العادية وادخال الجلكوز الى الجسم (مرات عديدة وفى مكان واحد) الى نمو السرطان . ولكن ما هو السرطان اذن ؟

لقد اوصلت فترة ال — ٢٠ سنة التى قضاها **لازار ميكلير** فى دراسة السرطان الى اعتقاده بان السبب فى نمو الاورام الخبيثة **لا يرجع الى التاثير المفز لعوامل خارجية وانما الى شذوذ فى سير العمليات الطبيعية التى تحدث كل ثانية فى اجسامنا .**

— انا على ثقة — يؤكد العالم — من ان خفايا السرطان لن يكشفها البحث عن **جين** السرطان المفترض (فانا لا اعتقد فى وجوده) ولا « الجرى » وراء **فيروساته** . حيث يجب البحث عن اسباب المرض ووسائل مكافحته فى الجسم نفسه .

ومهما بدت المفارقة فى هذا القول (حيث ان الحديث يدور عن اكثر الامراض الغازا بالنسبة للعلم الحديث) **فانه لا يوجد فى تاريخ السرطان مرحلة واحدة لم (تبرمجها) الطبيعة . ان الخاصية الرئيسية لخلية الورم هى الانقسام المستمر .**

ولكن الانقسام فى حد ذاته عملية ضرورية وطبيعية . فلماذا وكيف يتحول الى امر خبيث ؟ لقد كان ذلك اول الاسئلة التى وضعها لازار ميكلير نصب عينيه .

لنعرج بعيدا عن موضوعنا قليلا . ان جسدنا عبارة عن مجمع يحوى مليارات كثيرة من الخلايا ، التى تعيش وفق قوانينها الخاصة ولكن فى ارتباط صارم ببعضها . وطبيعى ان الارتباط المتبادل مستحيل دون الالتزام « باصول اللعبة » . واحد هذه الاصول هو ان للخلية الحق فى استنفاد كل امكانياتها . اى الانفلات فى النمو .. دون كابح عندما تكون وحيدة فقط . وينشا هذا الموقف ، على سبيل المثال ، عند اصابة اى من الانسجة ، او الجلد . هنا تبدا الخلايا التى بقيت « على قيد الحياة » فى الانقسام بشكل عاصف طالما بقى العيب ، طالما يوجد حولها « فضاء حيوى فارغ » .

وعلامة توقف الانقسام هو التماس مع جيرانها حيث يحدث تلامس بين خليتين شبيهتين (يمكن مقارنة هذا التلامس بالاتصال بين عربات قطار السكة الحديد) ويجب ان تاخذوا فى اعتباركم هنا قولى « خليتان شبيهتان » . هكذا قسمت الطبيعة الادوار حتى تستبعد

الفوضى . لقد علمت الخلايا التعرف الواحدة على الاخرى . ويلعب دور العين هنا الغلاف الذي ترتديه الخلية والذي يسمى الغشاء (الجدار) الخارجي . وتتكون اغلفة الخلايا من جزيئات متحدة في كتلة لها شكل محدد بصرامة يختلف حسب اختلاف الاعضاء والانسجة . والخلية لا تتلامس الا مع خلية من نوعها ، مثلما لا يدخل المفتاح سوى في قفله . ولا تقدم الخلايا على ذلك اذا تغير شكل سطوحها . وهناك اسباب مختلفة تؤدي الى هذا التغير مثل المواد الكيماوية . على سبيل المثال الهيدروكربون (الذي ينتمي الى مثيرات السرطان) القادر على التفاعل مع **بروتين الغشاء والفيروسات القادرة على الحلول بجدار الخلية** عند تخللها اليها والتفاعل مع البروتين الموجود فيها ، والنتيجة واحدة في كل الحالات وهي ظهور بروز له طابعه الخاص .. بشكل « غريب » من المركبات الزلالية . **يحرم الخلية من الاحساس بجارتها الامر الذي يعلي المضي القسري في طريق الانقسام غير المنضبط .**

هكذا تظهر ، من وجهة نظر **لازار ميكلير** ، الاورام الحميدة وحتى تتحول هذه الى سرطان يجب ان تكتسب **خاصيتين خطرتين ، خاصية التغلغل في الانسجة المجاورة « والتجوال » في الجسم ناشرة المرض .**

وتعرف كل الخلايا « **اماكنها الخاصة** » في الجسم وهي تتماسك جميعا بالعلاقة المتبادلة مع الخلايا المجاورة . واذا انهارت العلاقة المتبادلة فيمكنها ان تذهب مع تيار الدم الى الاعضاء الاخرى . لكنها لا تجد مأوى في اي مكان .. حيث لا تحدث تلامسات ولهذا تصبح خلايا غريبة وتموت . **اذن كيف تتمكن خلايا السرطان من تخطي هذا الحاجز ؟**

ـــ ان الخلية الخبيثة تعتبر هجينا على الدوام ـــ يعتقد ميكلير ـــ وهي تتكون نتيجة التقاء واتحاد خلايا مختلفة النوع او تغلغل اجزاء من الجهاز الوراثي الغريب اليها . ليس اي جين من الجينات وانما تلك بالذات التي تختص بالتفاعل مع البروتينات التي يتكون منها جدار الخلية .

ويمكن القول ان هذه الخلية الهجينية تكتسب « **جنسيتين** » تغشاؤها الجداري **موزايك متشابك من البروتينات المميزة لكلا النسيجين وهي تستطيع ان تتلامس** مع كل منهما . وهذا التلامس غير كاف للخضوع لقوانين حياة الخلايا المجاورة (لان الزلاليات التي اجتذبتها تكون البروز) ولكنه التماس يمكنها من الالتحام والتشبث بهذه الانسجة . **اليس ذلك هو السبب في توجه الجسيمات المرضية (الخلايا التي انفصلت عن الورم الخبيث) الى اعضاء بعينها وليس كيفما اتفق ؟ هكذا يرسل ورم الغدة الدرقية الجسيمات المرضية الى العظام وورم الشعب الرئوية جسيماته المرضية الى الجهاز العصبي المركزي ..**

ويموت في الجسم باستمرار ملايين الخلايا وسرعان ما تظهر في مكان الكارثة مواد خاصة تزيل آثارها . وتحطم الانزيمات الجهاز الوراثي للخلايا المدمرة . ولكن عملية الموت يمكن ان تمضي بمعدلات اسرع من تكوين الانزيم . وفي هذه الحالات يتزايد احتمال ظهور الخلايا **الهجينية** وبالتالي **الخلايا الخبيثة** . وهذا احتمال موجود. وتبين **المراقبة الكلينيكية** ان الغالبية العظمى من حالات السرطان تنشأ عن الالتهابات المرضية المزمنة والتقرحات المزمنة ، **ويتزايد «خطر السرطان» بشكل حاد في الشيخوخة** ، عندما يحدث تهدم الخلايا بشكل اكثف .

ويقول **لازار ميكلير** :

ـــ ان تكون **الخلايا الهجينية** عملية طبيعية ايضا تتسم بها الفترة الجنينية في حياة كل جسم ، حيث تظهر فيه خلال هذه الفترة خلايا خبيثة . وقد اثبتت مئات التجارب انبعاث زلاليات جنينية مركبة فيها . لكنها تكون مركبات مشوهة . وهذا امر مفهوم فالخلية السرطانية هجين شاذ يتكون من الجينات المتحدة في نظام لا يمكن التنبؤ به . ومفهوم امر آخر ايضا هو **ان الاشكال الكثيرة التي تظهر عليها العملية الخبيثة ونموها وسريانها وآثارها ناتجة عن الاحتمالات المختلفة الكثيرة للغاية لاتحاد مختلف الاجهزة الجنينية .**

والمعيار الرئيسي لصحة اية نظرية هو قدرتها على فتح الطريق للسيطرة على الظواهر التي تريد تفسير جوهرها .

ـــ انا لا استطيع اليوم اقتراح روشتة جاهزة للوقاية من السرطان ولعلاجه ـــ اجاب **لازار ميكلير** ـــ ولكن مثل هذه النظرة الى طبيعة ظهور الورم الخبيث تكشف عن امكانيات مبدئية جديدة للهجوم على مرض العصر .

احدى هذه الامكانيات هو صناعة عقاقير طبية تتألف من مركبات كيميائية كثيرة . واذا كانت الخلية السرطانية هجينا فان بامكانها تجميع المركبات القادرة على التغلغل في انسجة من نوعين . ومعروف جيدا ان هناك مواد غير ضارة بالجسم يمكنها عندما تتحد ان تصبح سما يعتبر « **مفجرا** » له طابعه الخاص . والامكانية الاخرى هي استخدام خلية السرطان ذاتها كأداة للنضال ضد نفسها .

ولمراجعة احد جوانب النظرية قمنا بتجربة اثبتت **ان الخلية السليمة تصبح خلية سرطانية عند التاثير عليها بالمثيرات السرطانية في لحظة انتقالها من حالة الاستقرار الى حالة الانقسام** . واذا افترضنا « **توليد** » خلية قادرة على صنع زلاليات وقائية ـ اجسام مضادة ـ فانها ستستمر مع التكاثر الجامح المنفلت في تصنيع هذه الزلاليات ، التي يظهر نقص شديد فيها عند الاصابة بمختلف الاورام السرطانية .

ويقول العالم في نهاية حديثه : انا اعتقد ان « **الورم في انبوبة الاختبار** » يمكن ان يصبح مصنعا لكثير من المواد النافعة لجسم الانسان وبالذات اليوم عندما اصبح ممكنا شتل الجينات المسؤولة عن خلق مركبات بعينها . ولا يبدو لي مستحيلا ظهور الموقف الذي يوجد فيه **الجين** (او مجموعة الجينات) الذي يتحكم في نمو الخلايا ، وندخله في الخلية المتورمة ونجبره على « العمل » في انبوبة الاختبار الامر الذي يمكن من الحصول على **مواد تصحح نمو الخلايا الشاذة .. اي تجمعات الخلايا السرطانية** . ان استئصال الورم ، الامر الذي يلجأ اليه الاطباء المضطرون الى الحاق الضرر بالنسيج السليم ، ليس الطريق الوحيد لعلاج « **مرض العصر** » . وانا مقتنع انه ستظهر بترسانة وسائل علاج السرطان في المستقبل طرق « **لاعادة تهذيب الخلايا التي فقدت عقلها** » .

اليلينورا جوربانوفا

المعلقة العلمية لوكالة « نوفوستي »

● مستوطنات بشرية منذ اكثر من ١٠٠٠٠ عام ●

● لم يستطع علماء الآثار ان يتتبعوا منذ ثلاثين عاما فقط آثار اقدم المستوطنات البشرية في مصر وبلاد ما بين النهرين الى ما يزيد عن **٤٠٠٠ عام قبل الميلاد** . وقد ظل البحث عن آثار اقدم الحضارات والتجمعات البشرية الريفية ثابتا بدون اكتشافات او نتائج اضافية ، نتيجة لتفضيل البحاث التنقيب عنها في **احواض المجاري المائية** التي تكونت في العصور الجيولوجية الحديثة ، اي في **وديان الانهار** .

غير انه امكن في الثلاثين عاما الاخيرة العثور على بقايا حضارات ريفية اعمق تاريخا من تلك التي كان يجري البحث عنها في وديان الانهار . وذلك في **المنحدرات الجبلية** التي تبين ان الانسان لجأ الى الحياة فيها طلبا للأمن والنجاة من الفيضانات . وقد تاكدت هذه النظرية بالعثور على بقايا عظمية لحيوانات منزلية اليفة . ويرى البروفسور **يواخيم بوستيك** رئيس معهد التشريح القديم والحيوانات الاليفة وتاريخ الطب البيطري بجامعة **ميونيخ** ان هذه الحفريات تؤكد ان **عمر المستوطنات البشرية يرجع اليوم الى ما بين ٩٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ عام قبل الميلاد** .

وكان الباحث الامريكي **روبرت ج. بريدوود** هو الذي قدم الافكار الاولى التي تشير الى تاريخ الحيوانات الاليفة في **الشرق الادنى** ، وتحول ببحثه عن التنقيب في الاحواض المائية الى المنحدرات الجبلية في منطقة حوض دجلة والفرات او ما يسمى بمنطقة « **الهلال الخصيب** » ، وهي تمر اليوم **بالاردن ولبنان وسوريا والعراق وجنوب تركيا** .

وكانت نظريته ترى انه من الممكن ان يكون الانسان قد عاش في المنحدرات الجبلية والتلال الغنية بالغابات في **زاغروس وطورس ولبنان والجبال الفلسطينية** . وتأكدت نظريته بالفعل بالعثور على آثار في الحفريات التي جرت في تلك المناطق . ومن المناطق التي يمكن تتبع آثار مناطق سكنية بها حتى **٨٠٠٠ عام** قبل الميلاد منطقة **اريحا** .

ويرى البحاث ان طريق انتقال الحيوان المتوحش الى حيوان اليف (وجميع الحيوانات الاليفة اليوم كانت اصلا من انواع متوحشة) تقود تاريخها الى اتجاه يسير من **الشرق الى الغرب** . كما ان اقدم عظام للحيوانات المستأنسة في اوروبا هي التي وجدت بشمال **اليونان** ، وترجع الى الفترة فيما بين ٦٥٠٠ و ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد ●

❊ نعيم عرايـدى ❊

اليغوريا

عشقتك فارسا
كالريح بين الحزن والوطن .
عشقتك صورة
لما انطبعت على جبين البعد والزمن ،
وقلـــت :
أعود من منفاى عاشقة ـ كما تأتى
عيون النحر بعد الليل والمحن ..
وقلت : أعود مثل البرق مشرقـة
بلا شكل ، بلا لون ، ولا بدن ...
وكنت على سريرى
فى تداعى الحلم ، عارية ، بلا جلد ،
سألتك عن تضاريس الهوى الاولى ـ
فصرت صغيرة النهدين والجسد ،
بكيت بكيت كى أعطيك من كبدى
فقلت : كفى !
عيونك تملا التاريخ للابد ....

ونمت على سريرى
فى صراع الروح والجسد
وكنت حزينة
وكأنك الاطفال فى بلدى ،
وكنت حبيبتى بحرا
وكنت كبيرة الارجاء والعدد ،
وكنت حبيبتى شعرا
وكنت جميلة ـ كالواحد الصمد ...
أحبك ...
أحبك مثلما تبغين ـ ان كنت
وان غبت ،
أحبك فى تداعى الحلم ان جاز الهوى ـ
جـزت ،
ولا أهدى لاى حبيبة اخـرى
كما أهدى
اليك حبيبتى وردى .

اشارة : اليغوريا ـ هى القول الايحائى ـ بمعنى ان تقول شيئا وتعنى سواه على أن يكون بينهما امر اساسى مشترك .وهى لفظة اغريقية اكتسبت معنى عالميا فى الادب والسياسة .

طبق أدب

سهيل عطا الله

هذا الطبق فيه وجبتــان ..

وجبة خفيفة سريعة : من يتناولها لن يصاب بعسر هضم ، امــا **الوجبة الثانية** ففيها شحم ولحم وفحم ... فحمها من **مشاحر بلادنا ..** واللحم والشحم محليان .. معدان للتصدير .. **والبواخر في الميناء ..** والابحار خبره عند الله .. فلا بأس اذا ما قدم لنا النادل طبقا من هذا ، فنحن قوم عاملون ولِراتنا معرضة للزحف مرة كل شهر ..

الوجبــة الاولى :

في هذا الطبــق اقدم لكم **شهرزاد ..** شهرزاد نفسها التي علموكم عنها وانتم صغار .. **شهرزاد الجميلة ..** وارجو ممن غافلهم لعابهم الا يتحولوا الى **شهريار ..** فشهرزادي عصرية معاصرة .. **تحولت الى رمز** ادبي يشمخ فوق عقدتنا الشهريارية .. **هذا الرمز الذي اريد له ان يذوب** في وجدان **اهل الادب المحلي** ، او ان يذوبوا فيه كي **تذوب نحن القراء في** تجاربهم ..

وكي لا يتهمني متناولو هذه الوجبة بالرمزية .. سأنزع عن شهرزاد العصر ثياب العصر كي امتعكم بمفاتن جديدة .. **مفاتن لم تخطر ببــال** شهريار .. إنها المفاتن التي ابحث عنها كلما اتناول عملا ادبيـا صغير الحجم او كبيره .

هل تعلمون يا إخوتي ان مفاتن شهرزاد العصر صانت مفاتن شهرزاد **(الليالي العربية)** من الذبول ؟!.. هل تعلمون ان تلك المفاتن قتلت السفاح في شهريار الجنس والانتقام ؟.. إنها شهرزاد **الذوق الادبي القادرة على** اسرنا في كل جلسة من جلساتنا مع عمل ادبي ؟! .. **استطاعت زوجــة** شهريار ان تروّض الانتقام لانها عرفت ان تكون اول متذوقــة للادب اعرفها ! ، والذي اريد ان اقوله لأدبائنا .. باننا نريد تقمص شخصية زوج شهرزاد .. نريد ان نبقى مع سطوركم .. مع سطور اشعاركم .. مع ابطال اقاصيصكم .. لا نريد مصيرا لاعمالكم كمصير زوجات كثيرات سبقن شهرزاد .

الوجبــة الثانية :

اقدم لكم **الشاعر سميح القاسم .. العائد الى مملكة الحبق ..**

لو قالوا للحبق : حدّد هويتك ؟!

لو نالت الازهار حق الانتماء القومي !!.. لانتصب الحبق قائلا : **انا زهر عربي ..** اخترت الريف العربي مسكنا منذ وجد هذا الريف ..

والتساؤل : هل كان هذا الكلام في جعبة الشيطان الذي دفع سميحا في طريق العودة ؟

العائد الى مملكة الحبق .. الحبق وليس الاقحوان !! وليس القرنفل !! . إنطلاقا من هوية هذا الزهر نستطيع ان نغيّر اسم القصيدة إلى : **(العائد الى مملكة الاهل) !** اذن مملكة الحبق هذه مكانها جليــل الشاعر .. وهكذا بعد غربة طويلة طويلة .. يعود الفارس الى المملكة التي انجبته . من بواكب الفارس العائد يرى كيف يذوب العذاب مع غبــار الحديد لتولد زنبقة .. وميلاد الزنبقة هذه يصور بصدق نشوة الفارس وهو يولد من جديد بين اهله ..

وكأن النشوة اسكرت فارسنا العائد فجعلته يقول :

البقية على صفحة ٤٦)

● ناجي ظـاهر ●

رسالة من الناصرة

● غطت اخبـار احتراق (يقول سميح القاسم : احترقت او احرقت او تحرقت او انحرقت (١) ..) الشاعر **راشد حسين** في نيويورك مساحـة كبيرة من جرائد ـ واهتمامات مثقفينا وكتابنا في الشهر المنصرم. وقـد اقيمت لذكرى **الشاعر راشد حسين** اكثر من ندوة اشترك فيها ، بعض من أصدقاء الشاعر ، نذكر من هذه الندوات تلك الندوة الهامة ، التي أقيمت في **ام الفحم** . ثم ـ الندوة الهامة ايضا ، التي اقيمت في **نادي بيت الصداقة في الناصرة** (٢) .

و **((راشد حسين))** ، واحد من شعرائنا المعروفين جدا ، وهو صاحب ديواني **((مع الفجر))** و **((صواريخ))** .

سواء كان **((راشد حسين))**، شاعر مهرجان أم كان شاعر مرحلة تاريخية ، فان الامر الذي لا يختلف فيه إثنان في رايي ، هـو ان **راشد حسين** لعب دورا في مرحلة من اخطر مراحل نضالنا ـ وهي مرحلـة الخمسينات ومطالع الستينات .

●

(راشد حسين في بيت الصداقـة)

* ولما كانت من اهم الندوات عن راشد حسين تلك التي اقيمت في الناصرة فانه لا بد من التعرض لها ..

افتتح الندوة الشاعر **سالم جبران** فتحدث عن **راشد حسين** . الشاعر **مفلح طبعوني** ، قرا بعضا من قصائد راشد ، اما الشاعر **جمال قعوار** ، فقـد قرا قصيدته عن **((راشد))** ٣ التي نشرت في «الجديد» والتي يقول فيها :

احاول إظهـار التجلد عزة
وفي الليل تشقى بالدموع الوسائد

ثم قدم عريف الندوة الاديب **طه محمد علي ...** وطه محمد علي هو صديق حميم لراشد حسين نعرف ذلك من الكتابات التي ما زلنا نذكر بعضا منها ، خاصة تلك التي نشرت في مجلة **((الفجر))** ٤ .. لقد تحدث **طه محمد علي** عن راشد ؛ حديث الصديق عن صديق ، ولكن صفة الاديب ـ ما زالت تلاحق هذا الرجل ـ .. وكم كان بودي لو استطيع ان انقل حديث صاحبنا عن صديقه بالتفصيل ، لما فيه من فن مبدع خلاق ، ولكن يابى المجال ـ والوقت .. فيكون الحـديث مجرد «اختصار» ، ارجو الا اسيء في تقديمـه الى الاصل ، والى الرجل والاديب .

قال طه محمد علي (ما ملخصه) : **كانا يتشاجران بالقرب من حانوتي ـ ذهبت اليهما وكانا صغيرين .. امسكت احدهما :**

ـ ما إسمك ؟
ـ راشد حسين !
ـ من اين انت ؟
ـ من قرية ((مصمص)) ..
فقلت له :
ـ لماذا اتيتالى الناصرة ؟
قال :
ـ لاتعلم .. !
قلت :
ـ وانا ايضا جئت الى الناصرة لاعمل ، إنني مثلك من قرية ((صفوريه)) .. وحاولت ان اقنعه .. اقتنع ولم يقتنع .. مددت يدي الى منديل كان في جيبي ومسحت به نقطة من الدم كانت قد استقرت على شفته السفلى، ومن يومها اصبح صديقا مقربا ، وكان يزورني بين الحين والآخر في حانوتي .

ويمر الوقت ويذهب راشد الى نيويورك .. ويمر وقت آخر .. ويأتيني ـ الناعي ليقول لي : ان راشد مات ! .. مات ؟ واذهب الى مسجد في قرية مصمص واقترب من الجثمان المسجى .. ويخيل لي ان نقطة من الدم بحجم حبة الزمرد قـد استقرت على شفته العليا ، في هذه المرة .. وفي هذه المرة بالذات لا تكفي كل مناديل الارض مجتمعة لازالة تلك النقطة .

ثم تحدث **طه محمد علي** ـ عن القضية .. وكيف ان **راشد حسين** ظل يكافح ويناضل من اجلها ، حتى الرمق الاخير ، كما يقولون .

بعد ذلك قدّم الكاتب **صليبا خميس** ، فتحدث عن راشد الذي يعني بالنسبة له اكثر من مقـــالة ، واكثر من قصيدة ، وكان الاحساس العام الذي تخلل حديثه ، هو انه لا يتكلم عن راشد الفرد بقدر ما يتكلم عن راشد الجماعة والنموذج .

وهذا بالذات ، ما اشار اليه **احمد حسين** شقيق «راشد» ، قال احمد : **ذكر سميح القاسم في النـدوة التي اقيمت في ام الفحم ، اننا تحدثنا عن كل شيء الا عن راشد ، .. وراشد بالنسبة لنا هو رمز .. انـه قضية .**

ثم قرا احمد قصيدته عن راشد .

ومما قاله في قصيدته :

جددت عهـدك والعهود وفـاء
إنـــا على درب الكفـاح سواء
نم في ثراك فكل صبح موعـد
او ينتهي الإصبـــاح والإمساء

* باهتمامنا براشد وباحتراقه في نيويورك ، تكمن عبرة .. ولكمن صحوة .

وهذا هو المهم .

●

*** هوامش :**

١ ـ من مقالة « احتراق واسمه راشد حسين » لسميح القاسم ، « الجديد » ، العدد ٢ ، سنة ١٩٧٧ .

٢ ـ ندوة بيت الصداقة ، كانت مساء الثلاثاء ١ـ٣ـ٧٧ .

٣ ـ نشرت في « الجديد » ـ نفس العدد المشار اليه آنفا .

٤ ـ عمل راشد كمحرر لهذه المجلة ، مدة من الزمن !!

(طبـــق ادب ـ بقيــــة)

هكـذا .. هكـذا ..
يـا لها نعمة عـارمة ..
هكـذا .. هكـذا ..
ليتهـا دائمـة ؟

قارىء الشعر مرهف كصانعه .. لقد صور الشاعر نشوته عندما ذاب الجليد ، فلماذا كتب هذا المقطع ؟! كان على الشاعر ان يترك لقرائـه مشاركته النشوة تلقائيا فهـــذه التلقائية اجمل واروع اذا ما أتت من القارىء .

وينتقل الشاعر من مقطع الى مقطع مصورا غربته ومغامراته .. فاحيانا نشاهده ينزف مع القتلى .. واحيانـــا مع القتلة .. تارة يبكي وتارة يغني .. حتى يصل ايجلس على عرش مملكة الحبق .. التي هي مملكة الاهل .. ومملكة الحبيبة التي حولت خنجره الى ارغول وجددت شباب الفصول ووهبته النشوة ونشلته من عتمة الخوف وبعثته من جديد .

تتكون هذه القصيدة من ثلاثة عشر مقطعا .. وهذه المقاطع كافية لأن تؤجل اغتيال شهرزاد ثلاث عشرة ليلة .. ولو اجـــل شاعرنا موت شهرزاد ونشر مقاطعه كقصائد قصيرة في اعداد « الجديد » لكان افضل .

لكل مقطع ـ يا عزيزي سميح ـ روعته ومملكته .. ونحن قـــوم عاطفيون لا نحتمل اكثر من روعة واكثر من مملكـــــة !! **واخيرا احـمد** الحبق ... احـمد المملكة .. اشد على يدّي المليك .. وليشمخ تراب الجليـل ..

إشارة :

الاستاذ سهيل عطا الله مدرس في مدرسة الرامة الثانوية وهو اصلا من قرية اقرث ، وقد مارس الكتابة قبل سنوات ثم انقطع عنهـــا لامر ما ، وها هو يعود الى مملكة الكلمة فاهلا وسهلا .

* فتحى قــاسم *

قراءة الماضي على قبر الكلمات المطويه

ـ ١ ـ

مذ تعلمت الكتابه ،
وبقلبى ،
لوعة العشق وأصوات الربابه
حملونى ألف ذنــب
وافترقنــا دون ذنــب
ومضينا دون رايه !!
أيها المطعون غــدرا :
ملت الأذن الروايــه .

ـ ٢ ـ

بعضنا يهوى وفوق البعض
مــاتت كلمــه
ـ وأنا أطوى سطور الحــزن .
أرنــو للسحابــه
لــم أمــت !
لكن تلمظت

ـ ٣ ـ

آه مــن ليــل
يشــق القلب . يفنى كل بذره
حين غــاب الفجر غبنــا
تطعم الوقــت حكايــا
وتشــد البــال فكــره
....

مــا تغيرنــا ولكن
حين صــار الظلــم قــدره
لم تضع منــا بقيــه
تطعم المــوال عمــره

(النــاصرة)

الموسوعة الثقافية

* ابســــــــن *
١٨٢٨ ـ ١٩٠٦

هنريك ابسن ، شاعر وكاتب مسرحي نرويجي ، قامت شهرته في انحاء العالم على مسرحياته الواقعية الحديثة ، ولا يكاد النقاد يلتفتون الى انتاجه الشعري الغزير الذي يصور اصدق تصوير شخصيته وحياته واحلامه ، لقد ظل فترة طويلة من حياته يعالج الشعر ويكتب مسرحياته شعرا وظل اثناء كتابته لمسرحياته النثرية الواقعية لايجد الراحة الا في قول الشعر .

كانت الحروب التي خاضتها بروسيا مع الدنمارك ومن ثم مع فرنسا وما تبعها من معاهدات واحداث سياسية وهزات اجتماعية كافية لكي تجتذب اهتمام ابسن الى مسائل السياسة والاجتماع . فكان ان ركز كل آماله في دراسة شخصية الفرد ووسائل تنميتها وكرس نفسه لتشخيص امراض المجتمع ولهذا السبب قرر ان يهجر الشعر والمسرحيات الشعرية التي كان يعالج فيها موضوعات تاريخية واسطورية ليعتنق مذهب الواقعية في الادب وبدا يكتب مسرحياته باللغة التي يتحدث بها الناس وسرعان ما اصبح احد زعماء المدرسة الواقعية الجديدة .

التي يعالج فيها مشكلة النفاق الاجتماعي ثم (بيت الدمية) التي وجه فيها سياط نقده الى وضع المراة في المجتمع البرجوازي وقد اثارت هذه المسرحية مناقشات

وفي سنة ١٨٧٧ كتب مسرحية (اعمدة المجتمع) حامية في اوروبا كلها لما تضمنته من مطالبة بتحرير المراة ومساواتها بالرجل باعتبارها انسانا له شخصيته وكرامته .

ثم جاءت بعد ذلك مسرحية (الاشباح) لتثير اقسى هجوم تعرض له في حياته وقد تالم إبسن لهذا الهجوم . فكتب وهو تحت تاثير هذا الاحساس مسرحيته (عدو الشعب) .

بدا ابسن يكتب اولى مسرحياته (كاتالينا) عام ١٨٤٩ وانتهى من كتابة آخرها وهي (حينما نبعث نحن الموتى) عام ١٨٩٩ وخلال الخمسين سنة التي مرت بين هاتين المسرحيتين كتب ثلاثا وعشرين مسرحية اخرى .

لقد اختار ابسن الجبن والانانية من بين الرذائل الاخلاقية التي ركز عليها نقده في مسرحياته . واذا كانت الآراء قد اختلفت حول القيمة الاجتماعية لمؤلفاته الا ان هناك شبه اجماع على اثره الواضح في وضع اسس المسرح الاوروبي الحديث . فقد اعاد للمسرحية الحديثة كثيرا من تقاليدها الاغريقية وقد تاثر به كتاب المسرحية المحدثون وبخاصة برنارد شو الذي اعتبره استاذا له .

بيد ان ابسن كان خاضعا لتناقض في نظرته الفلسفية الى المجتمع . ان قسما من آرائه تعبر عن مساوماته مع مثل الطبقة الحاكمة وهو وان هاجم الحكومات الرجعية في أوروبا الا انه وضع في مصافها جموع الشعب التي في رايه لا تبصر الحقائق وليس ادل على ذلك من عبارته الرجعية المشهورة (ان الاقلية قد تكون على صواب احيانا اما الاغلبية فهي مخطئة تماما) .

* ميخائيــل لومونوســوف *
١٧١١ ـ ١٧٦٥



هو العالم الفيزيائى الروسى العظيم . هـاجم لومونوسوف الافكار التى كانت منتشرة فى القرن الثامن عشر عن ـ السوائل ـ الكهربية والحرارية ودافع فى نفس الوقت عن النظرية الكينيتكية الجزئية للمادة وكان لومونوسوف اول من ثبت قانون بقاء كتل المواد المشتركة فى عمليات التحول الكيميائية وتحقق من صحتهـا بالتجربة . وكذلك طور لومونوسف مجموعـة رائعـة من الاجهزة البصرية التى ادت الى اكتشاف غلاف جوى لكوكب الزهرة . من اعمال لومونوسوف انه انشـا وكون اسس اللغة الروسية العلمية . وتمكن لدرجـة كبيرة من التوفيق ، أن يترجم المصطلحات الكيميائيـة والفيزيائية الاساسية من اللغة اللاتينية الى اللغـة الروسية .

د. هـ. لــورنس

١٨٨٥ ـ ١٩٣٠

ديفيد هربرت لورنس روائى وشاعر انكليزى كتب بالاضافة الى عدد من القصص القصيرة والرسائل والمقالات النقدية ، ثمانية دواوين شعرية ، وثمانى روايات هى « الطاووس الابيـض » سنة ١٩١١ ، « ابناء وعشاق » سنة ١٩١٣ ، « قوس قزح » سنة ١٩١٥ ، « نساء عاشقات » سنة ١٩٢٠ ، « الفتـاة المفقودة » سنــة ١٩٢٠ ، « الكنغر » سنة ١٩٢٣ ، « عشيق الليدى تشاترلى » سنة ١٩٢٨ و « الديـك الهارب » أو « الرجل الذى مات » سنة ١٩٢٩ .

وظيفة الفن عند لورنس هى الكشف عن العلاقة بين الانسان وعالمه المحيط به فى اللحظة الحيـة . فاذا كشفت الرواية علاقات صادقة واضحة فهى عمل اخلاقى مهما كان نوع العلاقة واذا مجـد الروائـى العلاقة فى حد ذاتها فستكون الرواية عمـلا عظيمـا . والعلاقة العظيمة فى رأى لورنس التى تتمتـع بهـا الانسانية ستكون العـلاقة بين الرجـل والمرأة التى ستظل تتغير الى الابد وتشكل المفتاح الجديـد الرئيسى للحياة الانسانية .

ولورنس وأن تمتع بقدرة فنية على سبر ادق المشاعر التى تثيرها فى نفوسنا الاشياء العادية المحيطة بنا الا ان اعماله الادبية جاءت تعبيرا كاملا عن حالته النفسيـة المريضة فى مختلف مراحلها وانعكست فيها شطحـات فكره . لقد انساق وراء فهم قائم على معادلة الديمقراطية وتمنى قيام ارستقراطية بين الصفوة المختارة . يقـول لورنس : « ان الاختلاف بين الناس ليس اختلافا طبقيا ولكنه اختلاف فى النفوس » . ان العالم المعاصر فى رايه مريض منهالك تسوده حضارة فاسدة وتسيطر عليـه النساء ويفرضن امزجتهن الانثوية على الفنون !

اننا حين نجد فى قصص لورنس قوة وذكاء وتعمقا فى النفس البشرية ، نجد أيضا تكرارا مملا وتعقيـدا فى التفاصيل وتناقضا ونوعا من الهستيريا وكذلك قتامة مربكة وسعيا محموما وراء رموز تتسلط عليـه دون ان يكون لها اتصال عضوى بالقصة ذاتها .

وقد دفعت قدرة لورنس على التعبير عن حـالات نفسية جديدة الكثيرين الى اعتباره عبقريا فذا ولكـن هذا الاعتقاد مبنى على التغاضى عن نقطة الضعـف فى قصصه وقصور نظرته الى العالم . فقد طور لـورنس استعمال القصة وجعلها اداة لوصف مجتمعه وصفـا واقعيا واجتماعيا بل لوصف حالات شعورية نفسية .

ان لورنس ليس بالاديب النموذجى الذى يمكـن ان نستلهمه فى مثل ظروفنا الادبية المعاصرة وخاصة وان القيمة الفنية لمؤلفاته ما زالت الى اليوم خاضعة للنقاش، بل ان قسما من النقاد يجردها من قيمتها ويرد شهرتـه الى تلك المواقف الجنسية التى وصفها فى بعض رواياته وبخاصة « عشيق الليدى تشاترلى » .

لذا يجدر الانتباه الى اعماله بكثير من الحيطـة لما فيها من انعكاسات لنفس صاحبها ومن تصويـره الخاطىء لازمة مجتمعه الراسمالى .

كنا في هذا العدد مع

هيئة التحرير والادارة :
شارع الحريري ٩ ـ حيفا
ص.ب ١٠٤
ت : ٧ ـ ٥١١٢٩٦ (٠٤)
المحرر المسؤول : المحامي حنا نقارة

طبع في :
مطبعة الاتحاد التعاونية

ص. ب ١٠٤ ـ حيفا
شارع الوادي ٤٣
ت : ٥٢١٤٥٧ (٠٤)

الاشتراك السنوي :
في البلاد ـ ٨٥ ليرة (بالبريد العادي)
في الخارج ـ ١٥٠ ليرة (او ما يعادلها)
بالبريد العادي . و ٢٥٠ ليرة (او ما يعادلها) بالبريد الجوي

ثمن المجلد السنوي : ١٥٠ ليرة
(باستثناء نفقات الارسال)

هيئة التحرير غير ملزمة باعادة المواد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

موقع المادة من المجلة تفرضه الظروف الفنية ، ولا يعتبر تدريجا لصاحبها .

لوحة الغلاف: **لتجتمع الايدي دفاعا عن الطفولة والاخوة (لوحة سوفييتية)**